

النشرة المركزية لحركة التحرير الوطني الفلسطيني "فتح"..خاصة بالاعضاء

العدد الحادي عشر السنة التاسعة والعشرون حزيران (النصف الاول) ١٩٩٣

رأينا

بسم الله الرحمن الرحيم

القدس.. اولا

■ يدخل وفدنا الفلسطيني.. وفد منظمة التحرير الفلسطينية، الجولة العاشرة للمفاوضات في واشنطن، دون قائمة وعود او عهود او تعهدات، كما جرى في الجولة التاسعة. ويمكن للباحث عن الوعود الضائعة، ان يجد بعض دوافعه في الاهتمام بهذه الجولة. ولكن البحث وللمرة الاخيرة عن الجدية الامريكية، وامكانية استكشاف امريكا، واقتناعها باهمية الدور الفلسطيني في عملية السلام، فعلا وقولا، هو المحك الذي لا بد ان يدركه العالم بأجمعه، كما ادركه الوفد الفلسطيني، الذي اجرى الحوارات الاخيرة المكثفة مع الادارة الامريكية ووصل الى النتائج، التي سيعرفها العالم بأسره على ضوء نتائج الموقف الامريكي، خلال وبعد الجولة العاشرة.

لقد اكدت الادارة الامريكية من خلال محاورتها للوفد الفلسطيني على استمرار تمسكها بنفس الروحية، التي سادت اثناء وفي ختام الجولة التاسعة. وعلى الرغم من الانتقادات الشديدة التي وجهت للورقة الامريكية، حول المشروع المشترك من جهات عدة، وليس بسبب المضمون فحسب، وانما بسبب التوقيت ايضا، فان الادارة لا تزال تعتبرها مساحة الارض المشتركة بين الفلسطينيين والاسرائيليين، والتي يمكن على اساسها بناء واستخلاص اعلان مبادىء، بحيث يقدم مظلة سياسية لنقل مبكر للسلطة على الارض بدءا بمجالات محددة. ويدرك الصهاينة في الادارة الامريكية ان اعلان المبادىء الذي يحدد المضمون والعلاقة، بين ما يسمونه المرحلة الانتقالية والمرحلة النهائية، انما هو ابتعاد كامل عن اسس المرجعية، التي اذا لم تحدد مسبقا، فانها ستفرض الوضع الانتقالي كمرحلة نهائية سقفها الحكم الذاتي، الامر الذي رفضه شعبنا ولا يزال.. لان الهدف الفلسطيني كان ويبقى انهاء الاحتلال، والحصول على الحرية والاستقلال الوطني واقامة الدولة الفلسطينية المستقلة وعاصمتها القدس الشريف. وحين نردد دائما هذا الهدف. نؤكد على اهمية القدس، بالنسبة للنضال الفلسطيني وللنضال العربي وللنضال الاسلامي، فهي مفتاح السلام.. وهنا تكمن أهميتها. وهنا تكمن اولويتها. ومن هنا يبدأ الحديث عنها، وهي تعيش حالة الحصار والعزل الصهيوني، الذي يحاول اقتطاعها من جسد الحق الفلسطيني المقدس.

القدس اولا.. ليس مجرد شعار نرفعه، وانما هو عقيدة مؤكدة مكرسة، لا يجوز فيها الحياد، ولا تقبل فيها المساومة. فالقدس هي الرمز الذي يوحد شعبنا، والذي تمتد اشعته الفلسطينية المقدسة، لتنعكس على شطآن غزة الصامدة واغوار اريحا الباسلة، وجبال النار في نابلس وطولكرم وجنين وقلقيلية. وجبال الخليل وبيت لحم وبيت ساحور وتعانق كروم الزيتون في رام الله والبيرة وبيرزيت.. والقدس باشعتها الفلسطينية المقدسة، تحطم القيود والحدود، لتعبر ضمير وقلب كل فلسطيني، يعيش في الاراضي المحتلة منذ عام ١٩٤٨، في عكا وحيفا والناصرة وصفد.. في يافا واللد والرملة وبئر السبع.. فحرية القدس، حرية مفتاح السلام، هو الذي يعطي الامل في الحياة والديمقراطية والاستقلال للفلسطيني اينما

البقية ص 22

قضايا تنظيمية

في معالجة المشكلات داخل الأطر التنظيمية

■ يعتري الجسم التنظيمي شانه شان الجسم البشري مع مرور الوقت أمراضا كثيرة، ومن بين هذه الأمراض الخطيرة انتشار الخلافات والصراعات بين المناضلين داخل بعض الأطر، تلك التي تزداد فرص وجودها ونمائها في الأجواء والمناخات غير الصحية، كأجواء الركود والتراجع والهزيمة، حيث يسود الاحباط ويعم اليأس، وتتراجع الثقة، فيطغى الحديث عن السلبيات على ما سواه، وتنتشر أجواء التشهير وتضيق الصدور بالرأي المخالف والخطأ البسيط فيتراجع المناضلون ويقل حماسهم للتضحية والمواجهة، ويصبحون أكثر اهتماما بالذات والموقع والمكاسب، فيستسلم بعضهم لمغريات الموقع والواقع، بينما يتقوقع البعض الآخر على همومه الذاتية، ويصاب البعض الآخر بداء الشللية والمحاور وردود الفعل وقصر النظر، ويضحي الجو ملبدا بأخطر الأوبئة، ويدخل الانتهازيين وأصحاب المصالح الشخصية والنفوس الضعيفة على الخط نفخا بالنار وتأجيجا للصراع بين الاخوة، فهذا المناخ هو مناخهم على عكس المناخ الثوري الذي يعزلهم ويفضح قصدهم. عند ذلك تكون المشكلة قد بلغت ذروتها فتضحي الفتن والصراعات هي جوهر العمل بدل المواجهة مع العدو، كما يحصل في هذه الأيام.

ان الخروج من المحن والصراعات في مثل هذه الظروف مشروط اولا وقبل كل شيء بتغيير المناخ من مسموم الى صحي ومواتي، وهذا غير ممكن الا من خلال المواجهة مع العدو وفي ميدان المعركة، لا من خلال النقد الدائم والشكوى المستمرة او التآمر والتشهير بالمناضلين وان كانوا مخطئين. كما أن الحل لا يكون في تغيير هذا المناضل أو ذاك أو اجراء تعديل على هذا الاطار أو ذاك، فالأزمة أكثر عمقا والمشكلة أكثر خطورة لانها تتعلق بالمناخ وتطال المنهج والعقلية والتوجه وبالتالي فان معالجتها تحتاج الى عمل دؤوب وجهد شاق وطويل ومتواصل.

والمواجهة مع العدو فقط هي وحدها الكفيلة بتغيير المناخ المسموم السائد، لانها تعيد صهر المناضلين والتنظيم، كما تعيد ترسيم طريق العمل الصحيح والعقلية الايجابية وتعريف المناضلين بواجباتهم الاساسية وبالأخطار المحدقة بهم، كما تعرفهم من جديد على ايجابيات اخوانهم وليس على سلبياتهم فقط، فيصبحون أكثر استعدادا لتحمل سلبياتهم وعيوبهم والتعاطي معهما بطريقة ايجابية بناءة، كما يصبح المخطئون أكثر استعدادا للتراجع عن أخطائهم ويختفي الانتهازيون لان أجواء الجد لا تناسبهم على عكس المناضلين تماما. هذا بالاضافة الى أن المواجهة وأجواء العمل الجاد كفيلة بازالة الكثير من الحساسيات والحسابات المغلوطة تلك التي تلعب دورها في تضخيم الاخطاء وتعقيد المشكلات والتأثير على العلاقات بين المناضلين.

وتحصل الخلافات داخل الأطر أحيانا على خلفية الاختلاف في وجهات النظر تجاه العمل ومنهجيته، وان معالجة هذا النوع من الاختلاف تكون أكثر سهولة ويسرا من غيرها، كونها جاءت على خلفية البحث عن المصلحة العامة وفي سياقها خاصة اذا تحلى المناضلون بسعة الصدر والحكمة والاتزان، والحرص على بعضهم وعلى الوحدة، والاستعداد للاستماع للراي الآخر وقبوله عندما تثبت صحته واتاحة الفرصة للمناضلين للتعبير عن آرائهم وأخذ مواقفهم برغم الاختلاف في الرأي معهم، خاصة عند التذكير بأن فتح ليست حزبا عقائديا جامدا، وانما حركة ثورية تتسع لكل المناضلين الذين لديهم استعداد للعمل ضد العدو مهما بلغ التمايز في وجهات نظرهم وآرائهم.

كما ان الخلافات قد تأتي على أرضية مشكلة عادية عارضة، أو قرارا تنظيميا خاطئا لم يعالج في حينه فكبر حتى أصبح مشكلة كبيرة ومعقدة، ولهذا فان معالجة الأمور أولا بأول وعدم ترك المشاكل تنتشر وتستشري بشكل افضل وأسهل علاج لها.

اما عندما يأتي الخلاف بين المناضلين على خلفية

قضايا تنظيمية
قضايا تنظيمية

المصالح الذاتية والأنانية الضيقة فان معالجته حينئذ تكون صعبة وشاقة، لأن الخلاف على هذا النحو يدفع ببعض أطرافه نحو التمترس وراء مواقفهم، كما قد يدفع بالآخرين الى التشدد في المواقف أو ردود الفعل.

ويعتبر الصبر، وحسن التصرف والابتعاد عن الوقوع في دائرة رد الفعل، مع الاستمرار في ضرب النموذج والقدوة أفضل علاج لمحاصرة الخطأ وعزله، وعلى المناضلين هنا أن يحذروا من الوقوع في خطأ التآمر أو التمحور فيفقدوا مصداقيتهم وهيبتهم بين اخوانهم ويصبحون بالتالي بمثابة الوجه الآخر للخطأ. وعليهم أن يثبتوا في نفس الوقت حرصهم على الوحدة وعلى المصلحة العامة.

واذا كان الاختلاف في الرأي مشروعا سواء داخل التنظيم أو خارجه لكونه يعبر عن الطبيعة البشرية، وهو بالتالي دليل ثراء وصحة، الا أنه قد يتحول الى النقيض حينما لا يتم وعيه بصورة صحيحة، أو حينما لا يتم تعويد المناضلين وتثقيفهم على كيفية التعاطي معه. أو حينما يصبح اداة لتحقيق أغراض شخصية أو تنفيذ سياسات قصيرة النظر.

ان ادراك ان الخطأ في المناضل مسألة طبيعية، وان النفس أمارة بالسوء، والتحلي بالتالي بالموضوعية والمسؤولية أثناء النظر للاخطاء واثناء معالجتها، ونشر الاجواء الايجابية والديمقراطية داخل التنظيم، كفيلة بالتقليل من الخلافات واحتمالات تطورها، ومن ثم معالجتها بصورة صحيحة، وان التعامل مع أخطاء المناضلين وهفواتهم بدفء وسعة صدر كفيلة أيضا بالمحافظة على الأجواء الايجابية السائدة بينهم، بشكل يجعل المناضلين كما ذكرنا أكثر استعدادا لتقبل اخطاء بعضهم البعض، كما يجعل المخطئين منهم أكثر استعدادا لتقبل الملاحظات وأكثر جرأة على الاعتراف بالخطأ ومن ثم الرجوع عنه.

وعلى المسؤولين من خلال الوعي وسعة الصدر والسماحة وأجواء الثقة والتصرف المسؤول والقدوة الصادقة أن يكونوا خير عون لمساعدة اخوانهم على التخلص من عيوبهم وثغراتهم فدورهم بنائي وليس تدميري. باستخدام أساليب المعالجة الصحيحة في أجواء تسودها الثقة والمودة والموضوعية، بعيدا عن التزمت في الرأي أو الانجرار وراء المواقف والمعالجات النظرية أو الشكلية كالنبذ والتشهير فدورهم بنائي وليس تدميري وواجبهم كسب المناضلين وليس خسرانهم. فواجبهم ومسؤولياتهم لا تقف عند حدود معرفة السلبيات وكشف الأخطاء ولكن معالجتها أيضا بصورة بناءة. ودورهم مركزي في التأثير على النتيجة النهائية سواء أكان الأمر متعلقا بحسن تصرفهم أثناء وقبل المعالجة، أو من خلال أساليب العمل الصحيحة والملائمة التي يستخدمونها في العلاج، أو من خلال الأجواء التي يجري فيها العلاج ايضا، فجميع هذه المسائل مهمة وضرورية. وعليهم ان لا يلجأوا الى الأساليب الصارمة الا بعد أن يستنفذوا كافة الأساليب والفرص الممكنة الأخرى. فمسؤوليتهم التجميع والتوحيد وليس التفريق والتطفيش. ويجب الحذر من دفع المناضلين نحو أبواب مغلقة أثناء العلاج، وعدم الصاق التهم الكاذبة بهم.

أما أسلوب اللجوء الى السكوت عن الأخطاء وتركها بدون علاج، أو المداهنة في علاجها فانها غير مجدية ايضا، فما لم يتم معالجته في حينه قد ينفجر أو غالبا ما ينفجر في الوقت غير المناسب وقد لا يفيد فيه العلاج عند ذلك.

ولأن الخلافات تشكل أحد أهم الأخطار على التنظيم، فهي من صنف الفتن أو مقدمات لها ولكونها ثغرات يمكن ان يستغلها العدو وينفذ من خلالها لبث الفرقة وزرع الشقاق في الصفوف فانه يجب باعطائها الأولوية في الوعي والتربية التنظيمية، توجيها ومعالجة للمحافظة على وحدة وقوة التنظيم وفاعليته، ولضمان الأجواء التي من شانها أن تدفع المناضلين نحو العطاء والتضحية وأن تجعل الشعب يثق بالتنظيم.

وان ترسيخ منهج صحيح ينظم العلاقة بين المناضلين، ويرعاهم ويحافظ عليهم. وينظم العلاقة بين الهيئات والأطر التنظيمية والقيادية المختلفة ايضا بصورة موضوعية وايجابية بعيدا عن التزمت أو التمحور والاستزلام وجعل المصلحة العامة هي المعيار والحكم، مع تحلي المسؤولين والأطر القيادية خاصة بسعة الصدر، والنظرة الشمولية .... تشكل ضمانة للتقليل من الخلافات والاختلافات وهي كفيلة دائما بأخذ الأمور بحجمها الحقيقي ووضعها في سياقها الصحيح، اما التزمت وضيق الأفق والحساب قصير النظر فانه عدو الوحدة، ورفيق الاختلاف والفتنة الحميم ■

موضوعات من الإنتفاضة (٣٥)

اعادة قراءة لبعض مفاهيم الثورة

■ تختلط القضايا على الكادر والمناضل في كثير من الاحيان، أمام تزاحم الاحداث، وفي مراحل الانحسار والتراجع الثوري، وفي أجواء الصراع الداخلي، ولأن العمل الثوري كما هو الحال بالنسبة للعمل الاجتماعي، لا يمكن صياغته بقوانين رقمية بسبب تعدد وتداخل الأطراف المؤثرة فيه، وبسبب التغير الدائم في حركة الواقع وتغير مواقع وتأثير ودور كل طرف من الأطراف المؤثرة، فان الأمور تختلط على المناضلين بشكل يصعب عليهم اختيار الموقف والأسلوب الملائم.

ولا يكفي في مثل هذه الأحوال الركون الى النظريات والقوانين الموجودة في التراث والكتب أو نقل تجارب الغير وتطبيقها قسرا اذ يجب ان يتحلى المناضل والكادر بدرجة عالية من المسؤولية والشفافية والقراءة الدقيقة للواقع، والخيال الواسع، ذلك الذي يمكنه من الربط الحيوي والايجابي بين ما يجري على الأرض وماهو موجود في النظرية كما يساعده في التقاط حركة المواقع والمفاصل المؤثرة فيه ومراكز الفعل التي تحركه واشكال التعاطي معها، ومن هنا تأتي عملية اثراء وتطوير النظريات والقوانين وضرورتها. وعلى المناضل أن يكون جاهزا باستمرار لتغيير أفكاره كلما وجد أنها لا تنطبق مع الواقع.

وبسبب ذلك فقد كتب الكثيرون من المفكرين ومؤرخي الثورات عن أمراض الجمود العقائدي والطفولة اليسارية والانتهازية اليمينية، واللحظة التاريخية، .. الخ.

وتزداد الأمور تعقيدا وخطورة حينما تختلط المسائل بين ماهو شخصي وذاتي وبين ماهو موضوعي وفي الصالح العام، عندها فان النظرية والمواقف سوف تكون في خدمة الذاتي والشخصي ولو أنها تلبس ثوب الثورية والمصلحة العامة.

وفي هذا السياق فاننا سنعيد تسليط الأضواء على جملة من المفاهيم، التي يكثر الاختلاف حولها وتطرح للمحاورة والتساؤل.

أولا: بين الجمود والتمسك بالمبدأ

المقصود بالجمود عدم مواكبة حركة الواقع وتطوراتها، والتمترس بالتالي وراء مواقف ونظريات تجاوزها الواقع والأحداث. مما يعني تعريض الثورة للأخطار حينما يصبح الواقع في واد والنظرية في واد آخر ويأتي هذا المرض اما بسبب قلة الوعي وادراك المتغيرات التي تواكب المسيرة الثورية، واما بسبب عدم استيعاب قوانين الثورة الذي يؤدي الى الفشل في تطبيقها بصورة ايجابية وخلاقة، أي الفشل في الربط بين النظرية والممارسة، واما لعدم الاقتناع الفعلي بأن الواقع أكثر ثراء من النظرية وان معيار مدى صحة أو عدم صحة أي نظرية تكمن في مدى انطباقها على الواقع.

ولأن الواقع في حالة حركة دائمة فان على النظرية وحملتها مواكبة هذه الحركة والتطور معها فالثابت والدائم هو الواقع والمتغير هو النظرية، والا فاننا نقع في خطأ من اضطر الى قطع أصابع قدميه ليجعلها تلائم حذاءه الصغير، بدلا من البحث عن حذاء آخر يلائم القدم.

ويعزي البعض من المصابين بالجمود ومواقفهم الى تمسكهم بالمبادىء، وحقيقة الحال تقول بأن هناك فرق

كبير بين الجمود في المواقف، وبين التمسك بالمبادىء، فالمبادىء تحتاج في كل مرحلة الى جملة من الافكار والسياسات والأشكال القادرة على تحقيقها دون أن يمس ذلك بجوهر المبدأ ذاته، وان معيار ذلك يكمن في مدى تناسق هذه الأفكار مع تحقيق الهدف الاستراتيجي المنشود.

وعلينا أن نفرق هنا بين التغير الواجب اجراءه على النظرية لخدمة تحقيق الأهداف وبين الاستسلام والرضوخ للواقع الذي يطلق عليه (واقعية) ويفسر (تجاوزا) على أنه تطور للنظرية.

ثانيا: بين الالتزم والتبعية

ينشأ عند بعض الكوادر والقيادات مع الأيام نوع من العقلية المتواكلة، الروتينية وغير المبدعة ويصل الأمر بأصحاب هذه العقلية الى عدم القدرة على البت بأبسط المسائل دون الرجوع الى الآخرين ويشكل هذا الأمر واحدا من أهم الأمراض التي يمكن ان يصاب بها التنظيم، والتي تؤدي الى افقاده الحيوية بل الروح والحياة وتقضي على المبادرة، فالروتين هو عدو النماء، والاتكال هو عدو النهضة وكلها تشكل مقتلا للتنظيم وتؤدي به الى أن يصبح عملا وظيفيا مملا لا روح له، بدلا من كونه عملا ثوريا جوهره المبادرة والابداع والاقدام ويعلل أصحاب هذه العقلية مواقفهم بالالتزام، وهذا أمر غير صحيح.

فالالتزام يعني التطبيق الخلاق والمبدع لسياسات التنظيم، ولا تناقض بين الالتزام والرأي الحر المبدع. وعلى المستويات العليا والقيادية في التنظيم أن تدرك بصورة جيدة هذه الحقيقة وتثقف المناضلين بها، وتفسح المجال أمام الانطلاق والابداع، وأن تنقد بل تحارب هذه العقلية التي لا تجلب الا الدمار والهلاك للتنظيم. وعليها ان تعطي الأولوية للالتزام. وأن ترعى وتشجع الطاقات الشابة والمبدعة وتثمن انجازاتها، فكادر اليوم هو قائد المستقبل ومناضل اليوم هو كادر الغد.

ثالثا: بين البناء الاستراتيجي والكسب السريع

يتميز نمط من الكوادر والقيادات بالميل المستمر نحو الكسب السريع، بعيدا عن منطق المثابرة والعمل الجاد الدؤوب، مما يؤدي الى سلق المسائل بدلا من انضاجها، بعد أن يكون قد تم تحويل الكثير من الامكانيات والجهود لغاية ما على حساب ماهو اكثر منها أهمية واحتياجا.

وبالاضافة الى أن هذا العمل غير مجد من الناحية الفعلية، فانه يتسبب في الحاق اضرار كبيرة بجوانب أخرى من العمل، كما يؤدي الى حالة من الارتباك والفوضى في العمل، بالاضافة الى خلق حزازات بين المناضلين، وتنمي لدى الكادر روح الممالقة للمستويات والأطر القيادية بهدف الحصول على امكانات، وتكون النتيجة في النهاية كالحمل الكاذب.

والخطورة في هذا المنهج انه تدميري للعقلية اولا وللبنى ثانيا، كما انه يخلق اوهاما وسرابا لا علاقة لها بجوهر العمل والبناء، ولكنها تستهلك الكثير من الجهود والامكانات. وغالبا ما يكون وراء هذه العقلية مصالح ذاتية وشخصية من بينها التظاهر والتفاخر بالانجاز (الشكلي) وارضاء القائد.

ولأن العمل الثوري يحمل صفة النفس الطويل، ولانه صعب وشاق فانه يحتاج الى الصبر وطول النفس، ولا تجدي معه العقلية الآنفة الذكر، التي تريد اختصار المسيرة الثورية فاذا بها تدمر الثورة، من خلال تدمير بناها أو دفعها الى زوايا ضيقة وصرفها عن منهجها. ولأن طبيعة الثورة هكذا لأنها صراع بين شعب ضعيف وعدو متفوق فان هذه العقلية تشكل انحرافا ولكي يحقق أصحاب هذه النظرية غاياتهم فانهم يلجأون الى الكذب، وتضخيم الانجازات والتقليل من أهمية غيرها، والتحايل عليها.

والفارق كبير بين الجد والمثابرة وبذل الجهود القصوى لانجاز العمل، وبين العقلية المتسرعة، فالأولى تؤدي الى انضاج المسائل بينما الثانية تعطي اشباه ثمار. ولهذا يمكن القول بان نظرية الكسب السريع نظرية قاصرة وقصيرة النظر، والفرق بين نظرية البناء والكسب السريع كالفارق بين من يزرع زيتون ومن يزرع خيارا، فمن يزرع زيتون يأكل زيتون لعشرات السنين ولو تأخر الثمر لثلاث سنوات أو أكثر، أما من يزرع خيار فانه يأكل خيار بعد أشهر ولكنه لن يعثر على نبتة الخيار في الأرض بعد خمسة أشهر لانها تكون قد جفت وانتهت، وان العمل التنظيمي تنطبق عليه نظرية زراعة الزيتون اكثر من نظرية زراعة الخيار.

رابعا: الارادة وموازين القوى

اعتاد الكثيرون من المفكرين والسياسيين والكتاب

على القول بأن ميزان القوى يشكل الفيصل والحكم وعنصر الحسم في الصراعات المختلفة، والاتفاقات والاختلافات. وعلى الرغم من صحة هذا الامر الا ان عدم ربطه دائما بعنصر الارادة يشكل ثغرة كبيرة في هذه المقولة. فمن شأن الربط الدائم بين الارادة وموازين القوى أن يجعل ميزان القوى يقاس في حالة حركته وليس بثباته، بفعل تأثير الارادة، وان يمنع الاستسلام للحظة ميزان القوى الراهنة. هذا بالاضافة الى اعتبار ان ميزان القوى لا يعني الماديات فقط وانما الارادة ايضا وهنا فقط تكون المقارنة صحيحة والحساب سليم.

والا كيف يمكن تفسير الانتصارات التي تحققها الثورات رغم الاختلاف في ميزان القوى المادي بينها وبين عدوها على مدار المسيرة الثورية. وفي ظروف تكاد تكون المقارنة بين القوتين ضربا من اللامعقول. وكيف يمكن تفسير نشوء الامبراطوريات وانهيارها، وولادة القوى واندثار القوى المقابلة.

ان الصراع بين الافراد اشخاصا وقوى وجماعات يحسمه جملة من العناصر المترابطة والتي يقف على رأسها الارادة والصبر واحتمال الظروف القاهرة، ومن ثم الماديات وان المشكلة التي تواجه المحللين في مثل هذه الاحوال تكمن في عدم قدرتهم على حساب قيمة الارادة وترجمتها الى أرقام وادخالها على حساب ميزان القوى كما هو الحال بالنسبة الى السلاح، ومن هنا يأتي خطأ الحسابات بالنسبة للاجهزة التقنية الحديثة اثناء معالجتها لقضايا الشعوب وحركاتها، ان الارادة والتصميم هذه القوى الخفية الهائلة هي التي تقهر موازين القوى المادية وتربك حسابات الدول وأجهزتها المختلفة.

خامسا: الاداء السياسي والفعل الميداني

اذا كانت الاتفاقات السياسية تعني ترجمة لموازين القوى، فان الواجب يقضي بالربط المستمر والدائم بين الاداء السياسي والفعل الميداني، بهدف ضمان تحقيق اقصى المكاسب اثناء المفاوضات. ولان المفاوضات لم تنه الصراع بعد فان استثمار الميدان يشكل مشروعا استراتيجيا بالنسبة الى الثورة.

وقد وقع عدد من المناضلين والكوادر في الخطأ بعد انعقاد مؤتمر مدريد حينما اعتقد البعض منهم بان لا مجال للقتال في ظل المفاوضات، فاستغربوا بل أدانوا العمليات العسكرية، أو على الاقل لم يرتاحوا لها، اعتقادا منهم بأنها تخرب المفاوضات، اما البعض الآخر فقد وقف مرتبكا ازاء هذه المسألة ولم يستطع التقاط الخط الصحيح القاضي بالقتال وباستخدام كافة الطاقات لخدمة المفاوضات ورفع مستوى الأداء.

أما بالنسبة للعدو فقد عمل على عكس ذلك تماما حين اطلق العنان لقواته لخوض اشرس المعارك واكثرها دموية ضد المطاردين والنواة الصلبة والشعب وما عمليات القتل الجماعي، والابعاد الجماعي، وقصف البيوت بالصواريخ، وعمليات اغلاق الاراضي المحتلة الا ضمن هذه السياق لقناعة العدو العميقة بدور الميدان وتاثيره وانعكاسه على طاولة المفاوضات.

اما بالنسبة الى الشعب فقد واجه العدو بكل شجاعة وبسالة وشن حربا دفاعية بالسكاكين، والدهس، والرصاص، بشكل لم يتوقعه العدو فوقع في الارتباك والتخبط فجاءت اجراءاته على شكل ردود فعل هستيرية كالابعاد والقتل الجماعي واغلاق المناطق مما أدى الى اهتزاز صورته امام العالم.

وما المفاوضات الا معركة في سياق الحرب الشاملة بيننا وبين العدو، وان كانت ادواتها مختلفة، ولكنها لا تلغي الميدان وعلى العكس من ذلك يجب ان يعمل بكامل قواه وطاقته.

سادسا: بين الوهم والأمل

يلعب العامل المعنوي دورا أساسيا وهاما في الثورات، فمن خلاله تندفع الشعوب والمناضلين نحو التضحية، وبفضله تواجه الشعوب الظروف القاهرة وتتحمل الصعاب والمشقات ويعتبر الامل بالنسبة للاشخاص والشعوب واحدا من اهم العناصر في المسألة المعنوية فالامل هو الذي يدفع المناضل نحو الاستشهاد، لانه يدرك معنى الشهادة ومردودها عليه وعلى شعبه، والامل ليس مسألة معنوية مجردة، بل انه محصلة حقائق ووقائع ونتاج تضحيات وحسن اداء يجعل المناضل يدرك في النهاية جدوى ومردود تضحياته ومعاناته.

ومن هنا يأتي الاختلاف بين الوهم والامل، ففي حين ان الامل هو ما ذكرناه فان الوهم هو عكس ذلك تماما، انه حالة مرضية يختلقها البعض بوعي أو بدون وعي استنادا الى وقائع كاذبة، سوف تنكشف ولو بعد وقت، وفي حين ان الامل يشكل عنصر استنهاض للمناضلين والشعوب فان الوهم يشكل عنصر احباط

يوصل صاحبه الى اليأس والنكوص. ولهذا فانه يجب الحذر من تقديم الاوهام على انها آمال لان نتائج ذلك ستكون وخيمة ومدمرة. وليتم التعامل مع المسائل بصدق وموضوعية مهما بلغت الامور من قسوة وتعقيد فان ذلك أجدى وأكثر نفعا.

سابعا: في الهدف والاسلوب

يعتبر الاسلوب واحدا من أهم عناصر الوصول الى الهدف، ولا نبالغ القول اذا قلنا بان تحقيق الهدف مشروط دائما أو غالبا بالاسلوب والوسيلة المتبعة الى تحقيقه، هذا لا يعني طبعا أن هناك أسلوبا ذاته لكل هدف، حيث تتعدد الاساليب وتختلف الوسائل. ولكن هناك أسلوبا افضل بين هذه الاساليب جميعا، والاسلوب بالنسبة الى الهدف كالمفتاح بالنسبة الى الباب، فمن لا يستطيع ايجاد المفتاح المناسب للقفل المناسب فانه يبقى يتخبط امام الباب بينما قد يكون المفتاح قريبا منه وان الحصول عليه مرهون فقط ببعض الجهد أو بعض التفكير.

ويخطىء البعض حينما يعتقدون ان الاسلوب يمكن ان يكون فهلوة أو فذلكة كلامية، أنه منظومة فكرية وسلوكية متكاملة، تخلق الثقة وتعزز الاداء وتؤدي الى النجاح، ويشكل التواضع والحكمة والصبر والتفاني والقدوة النموذج والوعي عناصر هامة في الاسلوب. وهو بالتالي حسن اختيار لادوات الاقناع والعمل والتأثير على الآخرين والتعامل معهم.

والنجاح في اختيار الاسلوب يعني النجاح في اختصار المسيرة والوقت والجهد والتضحيات، كما انه يعني المحافظة على اجواء الوحدة والثقة داخل التنظيم وبين التنظيم وجماهيره، كما يحافظ على عدم تشتيت الجهود وبعثرة الوقت في معالجة قضايا ومشاكل ثانوية وغيرها من متاهات.

ولهذا فقد تكرر في القرآن الكريم توجيه الرسول عليه الصلاة والسلام نحو اسلوب العمل الصحيح (أدع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة)، (وجادلهم بالتي هي أحسن)، (وانك لعلى خلق عظيم)، (ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك). وقد قال عليه السلام (اللهم أرني الحق حقا وارزقني اتباعه، وأرني الباطل باطلا وارزقني اجتنابه). هذا مع الرسول عليه السلام الذي يطلب ان يرى الحق حقا وان يرى وسيلة الوصول الى تحقيقه، فكيف نحن اذن.

ولهذا يجب القول بان الاسلوب يشكل مسألة مركزية بالنسبة الى الثورات وهي تشق طريقها نحو تحقيق غاياتها واهدافها، كما انه يعتبر موضوعا مركزيا بالنسبة للاشخاص ولنجاحهم ايضا سواء داخل صفوف الثورة أو في الحياة الاجتماعية والعملية عموما.

ثامنا: بين الحالة المعنوية والامكانات

تشكل المسألة المعنوية أحد الاركان الاساسية في الثورة، وفي ميدان المعركة، فالمسألة المعنوية ليست مسالة نظرية، انها محصلة ونتاج طبيعي للثقة بالنفس والقيادة والمستقبل، وللامل بتحقيق الانتصار والمناضل الذي لا يملك معنويات لا يستطيع القتال، والشعب الذي بدون أمل وآمال لا يقدم على التضحية.

وعلى التنظيم ان يولي المسألة المعنوية بين اعضائه أهمية قصوى، فهي الرباط الذي يشد المناضل للعطاء، كما يشد المناضلين الى بعضهم في المواجهة، والثورة التي لا تمنح شعبها الثقة والامل التي تتحول الى معنويات ومن ثم الى اقدام، لا تستطيع ان تحشد شعبها لخوض المعركة والنضال، وتجهم الاخطار فما من شعب يقبل على الموت دون هدف، وما من مناضل يقدم على التضحية دون ثمن.

وهناك من يعتقد وهذا خطأ بان الامكانات (السلاح والمال) تشكل المسالة الاكثر اهمية في الثورة، ولهذا فان اصحاب هذا الرأي يقفون عاجزين أمام قلة المال والسلاح، وتصبح قلة الامكانات بالنسبة لهم حجر العثرة الاساسي في طريق تقدم الثورة وتواصلها وانتصارها ووسيلة للاستسلام امام الخصوم. وأما أصحاب نظرية المعنويات فانهم يرون على عكس الآخرين بان الارادة والمعنويات تشكل حجر الزاوية بالنسبة للمسيرة الثورية وانها وحدها الكفيلة بتغيير الظروف وموازين القوى، والاندفاع بالثورة نحو النصر.

واذا كانت الامكانات هي الاساس بالنسبة الى الثورات، فكيف يمكن تفسير تاريخ عشرات الثورات، ووصولها الى النصر بأقل الامكانات، وفي مواجهة خصوم متفوقين ويمكلون امكانات هائلة. ان سر ذلك يكمن فقط في صدق العزيمة والارادة القوية، والمعنويات العالية. وحسن ادارة المعركة ولهذا فان من الصحيح القول (المعنويات اولا) ■

ثورة حتى النصر

المعسكرات المركزية توجهات استراتيجية (٢)

نشرنا في العدد التاسع من نشرة "فتح" الجزء الأول عن معسكرات الاشبال منذ تأسيسها، وكيف لعبت هذه المعسكرات دورا رياديا في تنشئة جيل الثورة على امتداد ربع قرن من الزمن.

كان القرار القيادي حكيما في بعثها، عندما أدرك خطورة الوضع العربي الممزق في تلك الحقبة، فكان لزاما الاعتماد على الذات.

كان بذلك قرار القيادة اعتماد دورات الاشبال المركزية من افضل القرارات التي تخدم الهدف الاستراتيجي فهو يعطي للثورة زاد التواصل والعناد ويدفعها خطوات الى الامام لتحقيق اهدافها. الى جانب انها الرسالة الدائمة للرد على كل محاولات الاحباط الناتجة عن المناورة السياسية التي تخوضها في اطار الحركة السياسية.

والاعتقاد الذي ساد وسيطر على ارادة القرار الفلسطيني بأن المعسكرات المركزية للاشبال هي المدرسة والمعهد والجامعة للثورة الفلسطينية، قد كان اعتقادا صحيحا وأثبتت الايام فعاليته وجدواه.

وتنفيذا لذلك اتخذت القيادة العامة لقوات العاصفة قرارها بتنفيذ اول دورة مركزية للاشبال باسم الشهيد عزالدين القسام وقد عقدت الدورة في بيت نايم في غوطة دمشق عام ١٩٧٤. وقد تضمن قرار القيادة الطلب لجميع الاقاليم ان تشارك بعدد رمزي الا ان ذلك لم يتحقق وقد شارك في الدورة مجموعة ٣٥٠ زهرة وشبل من اقليم سوريا ولبنان وقد اختارت القيادة عددا من المشرفين على تنفيذ الدورة كل من الاخوة / الدكتور محجوب عمر، مازن عزالدين، الاخ بلال ابو زيد والاخ الشهيد ركس، والأخ سلمان الزعتر.

ولم تكن مدة الدورة تزيد عن احد وعشرين يوما تخللتها محاضرات مكثفة عن تجارب الشعوب (فيتنام، الصين، كوبا، الجزائر) وتم عرض العديد من الافلام عن هذه التجارب وعن تجربتنا مما كان قد انتج في حينه.

وشارك الاشبال والزهرات في رحلات الى مناطق عدة في دمشق الا ان اهم هذه الرحلات والتي بقيت عالقة في الذاكرة هي زيارة عاصمة الجولان المحتل "القنيطرة المحررة" ووصلها الاشبال والزهرات في طابور عسكري منظم وطافوا في شوارعها ووقفوا على اطلال المدينة الجميلة التي دمرها العدو تدميرا كاملا قبل رحيله عنها. ووسط الملعب البلدي للمدينة وقف الاشبال يرددون اناشيد الفتح. وفتح مرت من هنا. وتم الحديث عن الاخوة الشهداء الذين عبروا من هذه المدينة ومن بينهم الشهيد خالد ابو العلا، والشهيد عمر العسولي وغيرهم.. وكانت توصية الاخوة اللذين اعطوا الموافقة على الزيارة هي عدم الاقتراب من الخط الفاصل مع العدو، وقد اقترب الاشبال وكادوا ان ينزعوا الاسلاك الشائكة.. وآلا يرددوا الهتافات والاناشيد.. وردد الاشبال كل ذلك.. ومنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا.

وقد اجتمع بعد ذلك المشرفين على الدورة، وعدد تم اختياره من الاشبال مع الاخ الشهيد القائد الرمز ابو جهاد وتم تعميم التجربة وتم الاتفاق على ضرورة تكرار التجربة حيث انها ضرورة ملحة.. وقد تابعت الحركة بعد ذلك الفكرة فأصبح المعسكر المستمر والدورة المركزية احدى المهام الاستراتيجية في الثورة الفلسطينية.

حيث عقدت دورة الشهيد عبد القادر الحسيني في دمشق في المعسكر الدائم في مدرسة ابناء الشهداء وتوالت بعد ذلك الدورات في الجزائر ثم في صنعاء اليمن، ثم في عدن/ اليمن، ثم في طرابلس/ ليبيا وهذه المعسكرات نفذت فيها دورات على درجة عالية من

ثورة حتى النصر
ثورة حتى النصر

الأهمية نحتاج الى تقديم بعضها كنموذج عما تم فيها والدروس المستفادة من ذلك.

أولا: دورة الشهيد عبد القادر الحسيني ١٩٧٥م

الكفاح المسلح الذي اختطته حركتنا العملاقة بدم الشهداء يتفاعل بكل ابعاده وعلى كافة الصعد الفلسطينية حيث جماهير المخيمات أصبحت جماهير مسلحة بكامل قدرتها لمن يستطيع حمل السلاح ولم يعد في المخيم من هو محايد أو مستقل فالجميع أعضاء في حركة الشعب الفلسطيني الذي اندفعت بفعل معاناتها من اضطهاد السلطة والمكتب الثاني وبفعل الامل المتوهج الذي أضاءته الثورة بكل فصائلها.

وعلى صعيد العدو فقد اشتدت حدة الاشتباكات، نحن نذهب اليه في رحلات الذئاب (الاسم الذي أطلقه الاخ الرئيس ابو عمار) على دوريات البطولة لنزرع ارض الوطن رعبا تحت أقدامه... قلعة العسكرية الفلسطينية.. لغة حرب الشعب كانت هي المسيطرة على وسائل الاعلام فلم يكن يمضي يوم الا وتستمع لاحدى المصطلحات التالية.. انفجار لغم تحت مجنزرة اسرائيلية، مقتل وجرح عدد من جنود العدو في كمين تنصبه دورية، احباط محاولة لتسلل فدائيين قادمون من لبنان، نزول دورية بحرية على ساحل نهاريا، اكتشاف محاولة تسلل من القطاع الاوسط وافشالها.. قصف مركز بالصواريخ الثقيلة لكريات شمونه (الخالصة)، قصف مركز على الجليل الاعلى.. الخ.. ووسط ذلك كله كانت معسكرات التدريب خلايا من النشاط تستقبل وتعد وعلى مرأى من ذلك كان الاطفال يكبرون ويصبحون اشبال يقتربون تدريجيا من السلاح، الذي كان ولا يزال زينة الرجال. وأمام هذا الواقع القوي والمتعاظم للثورة وقواتنا بتشكيلاتها الجديدة التي كانت أمام العدو والصديق تأخذ في الجمع بين تجربتها الذاتية المتنامية وما تحصله من تجارب الشعوب وهذا جعل الوضع اللوجستي أكثر تعقيدا.

وهذا جميعه أعطى مؤشرات سياسية كبيرة ان الثورة الفلسطينية مقبلة على معارك طاحنة مع العدو.. ووسط هذا كله كان لابد من العمل بالفكرة المركزية "الاشبال جيل النصر" ووسط تعاظم الثورة عددا وعتادا، القرار والفعل، الدم والدموع - الحزن والفرح، الشجاعة والشموخ، والخوف والتوتر، والاستشهاد اعلى درجات العمل الوطني، فرض سباقا بين مختلف الفضائل على مستوى الدوريات او في وحدة الموقف المدافع عن الثورة، في مواجهة القوى المضادة لها. وهذا جعل من ساحات بيروت وصور وصيدا، وطرابلس، والبقاع، ومخيم اليرموك في دمشق وباقي المخيمات تشهد بالفرح والدموع وداع الشهداء الذين يعطون لشعلة الثورة ديمومة الاشتعال بدمهم الطاهر الزكي.

والقيادة العامة لقوات العاصفة وعلى رأسها الاخ/ القائد العام والشهيد القائد الرمز أبو جهاد، قد بلوروا الفكرة كاملة مع القيادة العربية السورية حيث تم الاتفاق على اقامة أضخم مشروع خاص بابناء الشهداء ورعايتهم وتعليمهم.. وعلى ان يحتضن هذا المشروع معسكرا مركزيا للاشبال، يتم فيه الجمع بين الطمانينة والامل الذي يحدثه بتواصل الاجيال ونقل التجربة المعمقة اليهم من القيادات المناضلة التي لها خبرة الميدان، وما نقلته من تجارب الآخرين عبر الدورات التي تلقتها في الاتحاد السوفياتي سابقا والصين وفيتنام وكوبا، والجزائر، وكوريا ومصر ويوغسلافيا ورومانيا وبلغاريا، والمانيا الديمقراطية.. الخ.

وتم اختيار منطقة واسعة في شمال دمشق وبدأ العمل في تنفيذ المشروع.

وعلى أرض خالية تماما من الاشجار تم اقامة الخيام، وكان القرار الاستمرار في الدورات المركزية.. وتم التعميم من قبل الاخ ابو عمار والاخ الشهيد ابو جهاد على جميع الاقاليم للمشاركة.. وأبلغت القوات بضرورة المشاركة في التجهيزات.. وفعلا بتعاون الجميع تم بناء معسكر يستطيع استيعاب ما يزيد عن ثلاثة آلاف شبل.. واثبتت الاجهزة التي كانت تعمل باندفاع عال على أنها أجهزة شابة وقادرة.. وهذا المعسكر كان اختبارا حقيقيا ليس لمدى الايمان بالفكرة فقط بل الاهم من ذلك الايمان بالقدرة على تحقيقها.. وتم تشكيل قيادة للمعسكر من عبد السلام "ابو ماجد" قائدا.. ويشاركه مسؤولي الاشبال القادمون من الاقاليم، اما الاشراف على البرنامج السياسي والتربوي للدورة فقد تم اختيار الاخ/ أبو الرائد الأعرج في القيادة العليا، مازن عز الدين في الاطار التنفيذي للدورة، وكان ذلك

بتعليمات من الاخ/ ابو ماهر عضو اللجنة المركزية لحركة فتح عضو القيادة العامة لقوات العاصفة. اما المدربين على مختلف الاسلحة واساليب القتال فقد تم اختيار سرية بكاملها من أفضل المدربين من مؤسسة الأشبال والقوات وجميعهم وضعوا بآمرة الاخ العميد/ ابو حميد نائب قائد الكفاح المسلح في حينها وقائد القوات في اليمن لاحقا.. وقد أرسل الاخ الشهيد/ ماجد ابو شرار والذي كان يتولى مسؤولية الاعلام وجهاز العمل السياسي لقوات العاصفة.. افضل المصورين في مجال السينما والتصوير للتغطية الكاملة لهذا العمل الهام من بينهم الاخ/ مطيع والاخ ابو ظريف واحدى الاخوات "الاخت سلافة التصوير" الى جانب اختيار عدد هام من المفوضين السياسيين.

وبدأت دورة الشهيد عبد القادر الحسيني

وكانت المفاجاة تدفق من الاشبال، من العربية السعودية والخليج حيث تم نقل الاشبال مباشرة بطائرات عربية سعودية وكويتية من نوع "سي ١٣٠". وكان الاشبال من هذه الدول يأتون معززين بامكانيات ذات مغزى.. الا أنها كانت تثير بعض الاشكالات التي تحتاج الى معالجة.

وبوصول أشبال لبنان عبر حراسة مشددة وعن طريق الكحالة كان ذلك مؤشرا للبدء في الدورة.. ووسط أناشيد العاصفة وعلى هدير المعنويات التي تتدفق من الكلمات الصادقة المعبرة عن الطلقة الشجاعة كان النشيد "لوحنا على القواعد" متقدما على غيره من الكلمات.. وبدأ التفاعل.. وحدث ان تلاحقت السلبيات مباشرة بنفس القدر من تلاحق الايجابيات.. وأصبح لزاما على القيادة الجماعية للمعسكر والتي تتشكل من العديد من المسؤولين ان تعالج الاشكاليات الطارئة التالية:-

أولا: توحيد النداءات

لقد التقت في هذا المعسكر كل المدارس العربية في التدريب، احدهم يقول للأمام سر.. وأحدهم يقول للأمام مارش.. وآخر يقول رأس لليسار.. وغيره يقول لليسار لف.. وبعضهم يقول يس يم وزميله في سرية أخرى يقول يسار يمين.. وهذا أربك الوضع فنحن جئنا بأشبالنا لنعالج ما لحق بهم من تشتت فكري لنفاجأ أننا بحاجة الى وحدة شاملة لهذه النداءات.. وعقدنا عدة اجتماعات على جانب كبير من المسؤولية حضر جزء منها الاخ الشهيد ابو جهاد والأخ أبو ماهر غنيم. وتوصلنا الى صيغة تم فيها اعتماد أسلوب موحد للنداءات التي يتم تداولها.. ولتعميم ذلك روعي أن يتم التدريب عليها في الطوابير التي يتم فيها جمع الاشبال مثل طابور تحية رفع العلم في الصباح والمساء.. أو عند التحرك لطوابير ضرب النار او الرحلات العامة.. ونجحت المعالجة للمعضلة الاولى:

الاشكالية الثانية: الغبار

أرصد المعسكر جزءا من مساحات شاسعة من الارض البور حيث تعصف فيها الرياح فيتحرك كل ما عليها من أتربة لتعلو وتصبح في شكل قريب من "الطوز" "الزوبعة" الذي يحدث في المناطق الصحراوية، وترافقا مع حركة الاشبال في الطوابير أصبحت الرمال خفيفة جدا وتتطاير في وجه الاشبال بحيث أصبحت تغطيهم كقنبلة دخانية وأصبح وضع التدريب سيئا وصعبا.. وعلى الرغم من أن هذا الوضع ملائم لطبيعة التدريب، ويعطي جو من الخشونة الا أنه أصبح مزعجا لدرجة كبيرة وبحثنا عن حل لهذه المعضلة، ووجدنا أنها تحتاج الى صهريج ماء يوضع عليه مرش بعرض الممرات التي تسير عليها طوابير الأشبال ويجب أن يستمر في رش الطرقات دون توقف.. وساهمت الكتيبة الثالثة من قوات اليرموك بحل هذه الاشكالية. وكان لها دور هام في التخفيف من الوضع الصعب وساهمت في تلطيف الطقس الى جانب وقف موجات الغبار.

الاشكالية الثالثة: الزيارات

الاشبال المتواجدون في دورة الشهيد عبد القادر الحسيني من العربية السعودية والكويت والامارات وقطر، وسوريا ولبنان ونظرا لان عددهم تجاوز حدود الف ومئتي شبل وزهرة، فقد واجهت قيادة المعسكر اشكالية، ان عددا كبيرا من الاشبال والزهرات يحملون من هدايا لأقرباء لهم في سوريا بعضهم في درعا وحمص وحلب ودمشق. ولان هذه التجربة الاولى لمعسكر جماعي يشاركون فيه فان أولياء الامور كانوا يتصلون باقربائهم بقصد الاطمئنان. وقد فرض هذا الوضع حالة من الارباك لقيادة المعسكر، والضغط عليها لان عدد من ذوي الاشبال كان يصر على اصطحاب الاشبال للتعرف على أبنائه

وأقربائه الى جانب أن عدد منهم قام بتهريب البعض وأوقع قيادة المعسكر في حيرة ازاء القرار الذي يجب تنفيذه ازاء هذه الحالة المتكررة.. وأمام عقلية التعاون الجماعي التي كانت سائدة.. وجد حل عادل نسبي وهو "منع دخول أقرباء الاشبال الى أرض المعسكر وتم بناء مجموعة خيام على المدخل يتم فيها احضار الاشبال اللذين يكون لهم زيارات ومنح البعض اجازات محددة بما لا يزيد عن عشر حالات في اليوم.. وتوفير أجواء طبيعية بين الشبل ومن يقومون بزيارته.

الاشكالية الرابعة: الطعام

لقد جاءت دورة الشهيد عبد القادر الحسيني في توقيت كانت فيه الخيرات في الثورة وعليها تتزايد من الاشقاء.. ولم تكن تشكو من قلة الطعام أو نوعيته.. بل كانت الشكوى من القدرة على الطهي في وقت محدد لعدد ١٢٠٠ شبل ومعهم ما يزيد عن مئتي كادر بين مشرف ومدرب ومختص.. الخ. وكثيرا من الاوقات كان المطبخ لا ينجز مهمته في الوقت المحدد.. وفي أوقات أخرى كان تقديره لكمية الطعام لا تفي للمجموع فكنا نحتاج الى التعويض بالشراء لما هو متوفر في المطاعم من المناطق القريبة أو من دمشق.

وهذه ليست جميع الاشكاليات التي برزت في الدورة بل برز العديد لكن تلك كانت أبرزها لشموليتها في التأثير على الجميع ونتيجة لانعدام الخبرة فقد وقعنا في خطأ كاد يؤدي الى شبه كارثة.

وتسمم الطعام

في اطار تنفيذ برنامج الرحلات الخارجية والتي كانت تقضي بخروج جميع المعسكر مرة في الأسبوع لزيارة احدى الأماكن والتعرف عليها في دمشق وضواحيها. أو الاماكن الأكثر شهرة..

في احدى هذه الرحلات.. تم اعداد الطعام ونقله الى الحافلات التي تقل الاشبال.. وانتشرت الحافلات تقل الجميع في الاتجاهات المتفق عليها وعند الظهيرة فوجئنا بالاتصالات تأتي من كل مكان.. والناس تتجمع أمام مستشفى يافا الخاص بالهلال الاحمر في دمشق.. لقد تسممت سرية بكاملها بحدود مائة وعشرون شبلا.. وبالسرعة القصوى تم نقلهم جميعا الى المستشفيات وأجريت لهم عمليات غسيل معدة ووضعوا تحت عناية خاصة أشرف عليها في مستشفى يافا في دمشق الدكتور/ محمد توفيق رئيس بعثة الاطباء المصريين والاخ الدكتور/ علي حبش.. وتم انقاذ الجميع من الاشبال واستشهد قائد احدى الحافلات من الاشقاء السوريين بعد ان نجح في ايصالهم للمستشفى. وكان سبب هذا التسمم هو أن الاوعية التي تم طهي الطعام بها من النحاس وعند اغلاقها حدث تفاعل ما..!! أدى الى فساد كمية اللحوم التي تناولوها مما كاد يوقعنا في مأزق كان من الممكن ان يضعف الفكرة ويضع المسؤولين عن الدورة أمام الرأي العام الذي لا يرحم أبدا. وتطايرت البرقيات للاطمئنان. ومرت بسلام.

وأهم ما تحقق من هذه الدورة أن الاشبال من لبنان عكسوا تجربتهم المتميزة في المخيمات وزياراتهم للقواعد والمشاركة في أعمال التدريب والحراسة.. وهذا خلق حالة من الشوق لدى الاشبال اللذين اقتربت أعمارهم من سن الفتوة الى الطلب بالتوجه الى الجنوب والى العرقوب للمشاركة في حياة القواعد.

وتعمقت العلاقة بين اعضاء الدورة وتبادلوا العناوين ورددوا معا قسم الولاء لفلسطين وحفظوها في ذاكرتهم وأطلقوا النار على هياكل تمثل العدو الصهيوني.. وأجادوا استخدام السلاح الفوري وعرفوا فنون القتال واستمعوا الى قصص وروايات عن البطولات التي تمارس يوميا من اشقائهم الفدائيين وتعرفوا الى العديد من القادة وجها لوجه.. فقد عرفوا الاخ ابو عمار عن قرب.. والاخ الشهيد ابو جهاد حيث لقنهم درس البدايات وحملهم مسؤولية استمرار الثورة وديمومتها باعتبارهم جيل النصر.. وزارهم الاخ الشاعر/ محمود درويش برفقة المفوض السياسي العام ماجد ابو شرار وقام بتخريجهم الاخ ابو ماهر/ عضو اللجنة المركزية عضو القيادة العامة ومعه اللواء شكور احد أبرز القيادات العسكرية العربية حيث شارك في وضع خطة حرب تشرين.. ووسط الزغاريد وبحضور ما لا يقل عن سبعة آلاف مواطن استعرض الاشبال من دورة الشهيد عبد القادر الحسيني وأطلقوا النار وفجروا العبوات.. ووعدوا الجميع بالتواصل.. وعادوا ليكبروا مع الثورة وليدافع عدد منهم عنها ويستشهد عدد منهم في لبنان وأصبح عدد منهم كوادر كبيرة وذات شأن في صفوف قواتنا الشجاعة ■

بالونات حرارية على ابواب جولة جديدة

■ تواصل السياسة الاسرائيلية اطلاق بالوناتها الحرارية، لـلا للاختبار فحسب، وانما لحرف الانظار عن نواياها الحقيقية، ومراميها بعيدة المدى.

فمنذ شهور والتصريحات الاسرائيلية تطلق كلاما عجيبا عن الانسحاب من غزة، او اقامة حكم ذاتي في غزة، أو ايجاد تفاهم سريع حول موضوع غزة، حتى ان عبارة (غزة اولا) أصبحت متداولة في السوق السياسي الاسرائيلية، وفي بورصة المضاربات الامريكية.

وغني عن القول ان ضربات ثوارنا، ومقاومة جماهيرنا الباسلة للعدو في كل مكان، وفي غزة بشكل خاص، جعل حياة المستوطنين والجنود الاسرائيليين لا تطاق.

وغني عن القول ان ظروف قطاع غزة الديمغرافية الاتصالات تجعل الاحتلال يشعر بالعبء الثقيل، حتى ان رابين رئيس وزراء الكيان الصهيوني قال قولته المشهورة ذات يوم: اتمنى ان أغمض عيني وأفتحهما فأرى غزة وقد غرقت في البحر.

ان السياسة الاسرائيلية تواصل العزف على تكتيك غير بارع، بل ومكشوف، في محاولة منها لارباك القيادة الفلسطينية، وارباك المفاوض الفلسطيني..

انها أولا تتوجه الى الرأي العام لتمتص نقمته بسبب التعنت الاسرائيلي الذي ظهر للرأي العام العالمي في الجولات السابقة. انها تريد أن تظهر بمظهر الاعتدال، الذي يفتح بابا عندما تصل الأمور الى طريق مسدود.

وهي ثانيا تحاول صرف الانظار عن الممارسات الاسرائيلية الوحشية ضد ابناء شعبنا، سياسة القتل والتشريد وهدم المنازل والاعتقال والابعاد، وسياسة تطويق المدن والقرى، ومنع العمال من العمل.

وهي ثالثا تحاول الهروب من بحث المسائل الجوهرية الى طرح قضايا ثانوية، وتحاول الهروب من بحث الكل الى بحث الجزء، ومن بحث الدائم الى بحث المؤقت والعابر.

وهي رابعا تريد الامعان في محاولة تجزئة الوطن والارض والحقوق، تمهيدا لمزيد من التفتيت الذي يسمح لها بابتلاع الارض والحصول على المزيد من المكاسب التي حققتها عن طريق الحرب، وهو ما لا تقره الشرعية الدولية.

انها تحاول فصل القدس عاصمة الدولة الفلسطينية عن بقية الاراضي المحتلة عام ٦٧، كما أنها تحاول فصل القطاع عن الضفة، وسوف تحاول فصل المستوطنات عن الأراضي التي احتلت عام ٦٧، وهكذا..

ان سياسة (البالونات الحرارية) تهدف الى صرف النظر عن المعركة الحقيقية، وابعاد الاداء الفلسطيني عن الهدف الاساسي، والهاء الرأي العام بطرح سياسي براق، لكنه لا يستند الى أية اسس. ومثال ذلك ما روجته السياسة الاسرائيلية، والسياسة الامريكية لما اسمته مجازفات اسرائيلية بهدف تحقيق السلام، فخلال الجولة التاسعة، روجت تلك الأوساط لما أطلقت عليه تنازلات اسرائيلية، وحددت تلك التنازلات بالنقاط التالية:

أ- اعتبار الاراضي او المناطق حسب التعبير الاسرائيلي، اعتبارها وحدة متكاملة.

ب - استعداد اسرائيل لبحث موضوع الاشراف على الانتخابات.

جـ - غياب الاشارة للمستوطنات الاسرائيلية، والاشارة فقط للمستوطنين في اعلان المبادىء الاسرائيلي.

وبالتأكيد فان الموضوع لا يحتاج الى مناقشة طويلة، فحسب التعبير السياسي للمفاوض الفلسطيني، فان اسرائيل تأخذ بيدها اليسرى ما تعطيه بيده اليمنى، كما أنها ترش السكر على الموت، ومهما فعلت فمن غير الممكن أن يصبح للموت مذاق حلو، وهي في الوقت الذي تعطي به اشارات براقة، تواصل سياسة (الطوق الامني)، هذه السياسة التي تمارس العقاب الجماعي لا العقاب الفردي، وهي خطوة أعلى في سياسة القبضة الحديدة التي سنها رابين ومازال ينتهجها ويطورها نحو الأعنف والأشرس والأبشع.

وعلى الرغم من أن كل المنظمات الدولية ومؤسسات السوق الاوروبية المشتركة وأوساط انسانية عالمية قد أدانت سياسة الطوق الامني، وخرق حقوق الانسان في الاراضي المحتلة، فان السياسة الاسرائيلية ماضية في ممارستها نحو التصعيد..

ويتم ذلك كله، بدعم امريكي واضح، فالولايات المتحدة تغمض عينها اليمنى عن ممارسات السلطات الاسرائيلية البشعة في الاراضي المحتلة، كما أنها تغمض العين اليسرى عن التعنت السياسي الاسرائيلي، بل ان صهاينة الادارة الامريكية امثال مارتن انديك وغيره يروجون لتلك السياسة ويشيعون حولها رأيا عاما داخل الادارة الامريكية ذاتها.

ولعل مثال اعلان المبادىء المقترح من الادارة الامريكية لايجاد جسور بين المشروعين الفلسطيني والاسرائيلي، لعل المقترح الامريكي المذكور هو المثال البارز على هذا الظلم الكبير، وعلى الانحياز الامريكي الدائم للكيان الصهيوني.

نسوق هذا الكلام، ونحن في بداية الجولة العاشرة، التي لا يبدو انها ستختلف عن مثيلاتها من الجولات السابقة..

وأول الاشارات السلبية هو اللقاء الذي تم بين وفد فلسطيني ووفد أمريكي في واشنطن قبل بدء أعمال الجولة، فقد صرح الاخ صائب عريقات نائب رئيس الوفد الفلسطيني المفاوض أن هناك خلافات عميقة بين الجانبين الفلسطيني والامريكي حول مرجعية السلام ومنهجية عملية السلام، ومفهوم المرحلة الانتقالية، ومفهوم دور الشريك في المفاوضات.. واشار الاخ صائب ان محادثات واشنطن تلك لا تبشر بخير، وتضع عملية استفهام كبيرة حول مجمل عملية السلام.

ان هذا التصريح لا يعطي أي أمل بالتفاؤل في أن تكون الجولة العاشرة مختلفة عن مثيلاتها..

وقد أفاد المستشار الدبلوماسي لرئيس الوزراء الاسرائيلي (جاك نيريا) يوم الاحد الماضي ان الوفد الاسرائيلي لا يحمل معه مقترحات جديدة، وان اسرائيل ليس لديها توجه للقيام ببوادر حسن نية تجاه الفلسطينيين، معتبرا انها قامت بكل ما يجب القيام به.

اذن نحن أمام جولة جديدة، ستعيد فيها اسرائيل الأسطوانة ذاتها، جولة سبقتها تصريحات واشارات أثارت الحديث، وعملت على الهاء وسائل الاعلام العربية والعالمية، مثل الحديث عن غزة أولا.

ان العدو الاسرائيلي لم يعترف حتى الآن أن الاراضي الفلسطينية المحتلة عام ٧٦ هي اراض محتلة، بل انه يصفها بأنها الاراضي الواقعة تحت الحكم العسكري أو المناطق، وان التهرب من تحديد حدود الولاية الجغرافية لسلطة الحكم الذاتي الانتقالي الفلسطيني يكشف ماهو مضمر في السياسة الاسرائيلية الرامية الى مصادرة وضم اجزاء واسعة من الاراضي الفلسطينية، وفي مقدمتها مدينة القدس.

ان صراع الارادات الذي يجري الآن على طاولة المفاوضات هدفه الحقيقي تحديد الوضع الدائم للاراضي المحتلة عام ٦٧.. هدف الاسرائيليين هو ضم الاراضي التي يستطيعون ضمها ومنع قيام دولة فلسطينية، وابقاء الاراضي الفلسطينية تحت رحمة المؤسسة العسكرية الاسرائيلية، وهدفنا هو جلاء الاحتلال، واقامة الدولة الفلسطينية المستقلة وعاصمة القدس الشريف، واحقاق الحقوق الوطنية للشعب الفلسطيني.

ان الفجوة مازالت كبيرة وكبيرة جدا على طاولة المفاوضات، وان عدونا هو عدو شرس، وعدو يتلقى الدعم من الولايات المتحدة بلا حدود..

وان المعركة مستمرة، نخوضها متسلحين بنضال شعبنا، بانتفاضته الباسلة، ومقاومته المسلحة المجيدة، ومتسلحين بوحدتنا الوطنية، وبثوابتنا الوطنية كما أقرتها المجالس الوطنية والمجالس المركزية، وان هذه المعركة متواصلة بشجاعة بعيدا عن اليأس والاحباط، وعلى الرغم من هذا الحصار الامني على شعبنا في الداخل، وهذا الحصار المالي لتجفيف موارد منظمة التحرير وموارد الانتفاضة.

اننا نتمسك بحقوق شعبنا اكثر من أي وقت مضى على الرغم من كل الصعوبات.. ■

شعار غزة.. اولا
بين التزوير والتخدير

■ تتناقل وسائل الاعلام في هذه الفترة "مقولة غزة اولا" او لنجرب هذا "في غزة أولا"، أو "دولة غزاوية" الى آخر ذلك من مقولات مصدرها الاعلام الصهيوني الذي يعمل بالتنسيق مع أجهزة الامن الصهيونية، على أعلى مستوى، أو بكلمات أدق بالتنسيق مع رئيس الحكومة رابين.

وبسرعة قياسية تتناقل أجهزة ووسائل الاعلام الغربية وتحديدا الموالية للكيان الصهيوني هذه المقولات وتطرحها على أساس أنها بادرة حسن نية من قبل حكومة رابين، ومهللة لها على أساس أنها عنصر السلام الاكثر أهمية في المنطقة، وأنه دون الاستجابة الى هذا العنصر ودون الوقوع في الأشراك الخداعية، فان المسيرة السلمية لن تتقدم، وان المسؤولية في الابقاء على حالة اللاسلام في المنطقة تقع بالتالي على عاتق الفلسطينيين، وتحديدا على عاتق منظمة التحرير الفلسطينية وبتحديد الحق على عاتق الرئيس ياسر عرفات.

الا ان هذه التسريبات الاعلامية، ليست على علاقة بما يجري في المفاوضات في واشنطن، على الرغم من أنها تسرب في بعض الاحيان عبر قنوات دبلوماسية رفيعة المستوى.

ففي عام ١٩٨٨، قام شمعون بيريس وزير الخارجية الحالي بطرح هذا المشروع على المسؤولين الالمان الذين أحاطوا منظمة التحرير الفلسطينية علما بكل ما طرحه بيرس. كما طرح المشروع "غزة اولا" في الصحافة الصهيونية العديد من المرات، وبقي مجرد طروحات صحفية فقط، ولم ينجز أي تقدم ولم تتخذ أية اجراءات عملية في هذا الموضوع.

اذن لماذا وماذا تريد أجهزة الاعلام الصهيونية ان تعمل بالتنسيق مع رابين، ولماذا يطلع علينا جيروم سيجال الان مطالبا راعي المؤتمر بتبني موضوع غزة اولا كتجربة لكسر جمود المفاوضات.

للاجابة على هذا السؤال يجب ان نعود قليلا الى الخلف، الى فترة حرب ١٩٧٣ وما بعدها حين مررت اتفاقيات كامب ديفيد. ففي حينها وعدت جهات رسمية امريكية ان دولة او دويلة فلسطينية قادمة على الطريق، ثم بدأ هذا الطرح يتقلص الى حكم ذاتي، ثم الى حكم اداري للسكان فقط وليس للأرض واستمرت سلسلة التقليصات الى ان تبخر المشروع الصهيوني تماما.

في كل مرة كان طرح غزة والانسحاب منها له أهدافه، مرة للقضاء على الثورة ومرة لخلق قيادات بديلة لمنظمة التحرير الفلسطينية، ومرة لاثارة الخلافات بين الفلسطينيين، ومرة لتضليل الرأي العام العالمي، ومرة لتلاشي الضغوط الدولية، ومرة لارضاء السوق الاوروبية المشتركة. أما في هذه المرة فان الهدف واضح تماما بشقيه، الاول وقف زخم الانتفاضة التي يزداد لهيبها في قطاع غزة وفي الضفة الغربية. اما الثاني فان الطرح يهدف الى سعي الكيان الصهيوني لتقديم المقابل للأموال الامريكية التي دفعت مقابل دخول هذا الكيان

المفاوضات، وقد حصلت "اسرائيل" فعلا على ١٠ مليار دولار لاستيعاب المهاجرين واقامة مستوطنات جديدة.

لكن الاسباب الكامنة وراء هذا الطرح اكثر خطورة مما هو ظاهر، ففي حال موافقة منظمة التحرير الفلسطينية على الطرح ستزعم اسرائيل ان هذا الطرح صحفي وليس رسميا لانه لم يدرج على جدول أعمال المفاوضات في واشنطن، ولم يتخذ به أي قرار رسمي في الحكومة الصهيونية، ولم يطرح على الكنيست او للتصويت المباشر من قبل الشارع الصهيوني، وفي حال رفضه من قبل منظمة التحرير الفلسطينية، فانه سيصبح شبه رسمي ويجري استغلاله لدى الرأي العام العالمي وخاصة أمريكا والكتلة الاوروبية، والأخطر أنه سيضع الأطراف العربية المفاوضة في حل من ربط تقدم مسارها بالمسار الفلسطيني في المفاوضات وستتقدم بعض الدول العربية بموافقتها على الحلول التي انجزت فعلا ولا يؤخر التوقيع عليها سوى عدم التقدم في المسار الفلسطيني.

ان الأطراف العربية، ومنذ أن وقعت اتفاقيات كامب ديفيد، تعتقد ان الحل في يد الولايات المتحدة الامريكية، ومتى شاءت الاخيرة فان الحل سيندفع بقوة، وهذه مغالطة كبيرة وعملية خداع للذات العربية، فالنظر الى الحل وفقا لرغبة الولايات المتحدة به الكثير من الخطأ، فالولايات المتحدة لم تنه الوظائف الاسرائيلية، وبالمقابل لم تتدعم لدى الادارة الامريكية وظائف الدول العربية في المنطقة بسبب الموقف العربي الذي قرر طواعية، وخاصة بعد حرب الخليج، تنفيذ كل ما تطلبه الولايات المتحدة حتى لو تعارض ذلك مع مصلحة الدولة أو بعض الدول العربية.

ان وظائف الكيان الصهيوني لا تزال مهمة لدى الادارة الامريكية، فهي المخزن المتقدم للأسلحة الامريكية في المنطقة، وهي التي يمكنها في ظروف معينة، دفع الدول العربية الى المواقف التي تريدها الولايات المتحدة الى ان تتدخل الأخيرة بشكل مباشر، وبدلا من وظائف التصدي للنظام الشيوعي في المنطقة، استبدلت وظائفها بمكافحة الارهاب تارة وأخرى بمكافحة التطرف الديني.

اضافة الى كل هذا فان الحلول التي نتصورها ونتصور ان الولايات المتحدة قادرة على فرضها، لا يمكن ان تأخذ بمعزل من الوضع الداخلي في الكيان الصهيوني، وبصورة أوضح فان تحليلا سريعا للائتلاف الحكومي القائم في الكيان الصهيوني يتضح لنا ان الاحزاب اليمينية العلمانية والدينية المتطرفة لا تزال تشكل نصف الشارع الصهيوني، وتبقى الاحزاب العربية داخل الائتلاف وخارجه هي التي تشكل القاعدة التي يعتمد عليها رابين، لذا يمكن القول ان الفكر الصهيوني الذي قامت عليه الحركة الصهيونية لا يزال هو هو لم يتغير، ولا يزال حلم اسرائيل الكبرى يراود كل أحزاب اليمين والاحزاب الدينية والكثير من أحزاب اليسار.

ان الانسحاب من غزة يعني الكثير بالنسبة للفلسطينيين وبالنسبة للكيان الصهيوني. فقطاع غزة ارض فلسطينية والانسحاب منه يعني اولا انتصارا للكفاح الفلسطيني، ويعني ارض وشعب وعلم وجواز سفر وبالتالي اعادة الاعتراف بالشعب الفلسطيني وبالهوية الفلسطينية التي ينكرها الكيان الصهيوني والعديد من الدول الغربية، وهذا يعني ايضا ان الكيان الصهيوني اصابه الوهن والتعب، ويعني ايضا، مهما كان هامش الاستقلال ضيقا ومهما كانت مجالات هذا الاستقلال هامشية، فانه يشكل نقطة الارتكاز لاعادة تكوين وصياغة الهوية الفلسطينية عربيا ودوليا، وهذا ما سوف يرفضه الكيان الصهيوني، عندما تأخذ الأمور مسارها الجدي.

الامر الثاني الذي يخشاه الصهاينة انه اذا كانت غزة أولا فان هناك ثانيا، كما قال رفائيل ايتان، فهل ستكون الضفة الغربية ثانيا، ثم ما هو ثالثا.

يدرك قادة الكيان الصهيوني أن أية سلطة في قطاع غزة لا يمكن أن تحول دون تدعيم الانتماء الى فلسطين بكل ما تعني هذه الكلمة، وتدرك ايضا انه لا يمكن لاية سلطة السيطرة على القطاع الا اذا كانت سلطة فلسطينية ذات رصيد نضالي طويل، تمتلك القرار ولا تسمح باستلابه، واذا كان المشروع الصهيوني جادا فانه لا عنوان يتحدثون به من هذا المشروع سوى عنوان الرئيس عرفات. وهذا لم يحدث حتى الآن علانية وعندما يحدث سندرك جدية هذا المشروع، والى أن يحدث ستبقى القدس أولا، وان حدث ستبقى القدس أولا ■

اضواء على أهم القضايا المطروحة أمام المؤتمر العالمي لحقوق الانسان (فيينا ١٤ـ١٩٩٣/٦/٢٤)

■ بعد خمس وعشرين سنة عن المؤتمر العالمي الاول لحقوق الانسان ينعقد المؤتمر الثاني في ظروف دولية جديدة، تحاول فيها الولايات المتحدة الأمريكية ان تكون قائدة منفردة للعالم الجديد. فقد عزز مؤتمر طهران سنة ١٩٦٨ حركة حقوق الانسان سواء كانت الحقوق الجماعية (حق الشعوب في تقرير مصيرها واحترام السيادة واختيار النظام السياسي والاجتماعي وعدم التدخل بالشؤون الداخلية) أو الحقوق الفردية التي تتعلق بكرامة الانسان وحريته.

وقبل أن نلقي الأضواء على أهم وثائق المؤتمرات التحضيرية التي سبقت المؤتمر العالمي نعتقد أنه من المفيد أن نتوقف عند بعض المفاهيم والمصطلحات المستخدمة مثل: ماهو المراد بحقوق الانسان؟ ومصادر وتطور هذه الحقوق وأهم المواثيق الدولية. وبداية، نقول أن تأمل فئات الحقوق التي تشير اليها الوثائق الدولية لحقوق الانسان، واستعراض تاريخ النضال الانساني من أجل اقرارها، يكشفان أن المفهوم المعاصر لحقوق الانسان هو تراث مشترك للانسانية كلها، فقد ساهمت مختلف الشعوب في تكوينه، وشكلت الحضارات المختلفة روافد متلاقية في تشكيله، كما أن عقائد الانسانية وأيديولوجياتها الكبرى أكدت كلها أبعادا متكاملة في هذا المفهوم. وتنقسم الحقوق، طبقا الى القانونين العام والخاص، الى حقوق عامة وحقوق خاصة، مع العلم أن الحرية هي أصل جميع الحقوق. لذلك، فان الحق الطبيعي للانسان هو أساس كل الحقوق "للانسان حقوق من واقع أنه انسان: كيان سيد نفسه وتصرفاته".

وقد غدت هذه الحقوق من بين المهام الأساسية لهيئة الأمم المتحدة، اذ صدر الاعلان العالمي لحقوق الانسان في ١٠ كانون أول/ ديسمبر ١٩٤٨، والاتفاقية الدولية لازالة كل أشكال التميز العنصري سنة ١٩٦٥، والعهدان الدوليان للحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، والحقوق المدنية والسياسية سنة ١٩٦٦، اضافة الى اكثر من عشرين اتفاقية تم ابرام معظمها في اطار الامم المتحدة.

أما التحضيرات التي سبقت المؤتمر العالمي فقد بدأت بقرار الجمعية العامة للأمم المتحدة ذي الرقم ١١٥/٤٥ الذي صدر في شهر كانون أول/ ديسمبر ١٩٩٠، ولهذا الغرض قررت الجمعية العامة انشاء لجنة تحضيرية لاعداد جدول أعمال المؤتمر ووثيقته النهائية. وقد حددت الجمعية العامة أهداف المؤتمر كما يلي:

١ـ عرض وتقييم التقدم الذي تحقق في مجال حقوق الانسان منذ اصدار الاعلان العالمي وتذليل العقبات من خلال وضع وسائل حديثة لتخطي هذه العقبات.

٢ـ فحص التقارير المقدمة حول تطوير وممارسة الحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والحقوق المدنية والسياسية.

٣ـ تقييم فعالية الأدوات التي تستخدمها الأمم المتحدة لتأمين احترام حقوق الانسان وبحث توفير الموارد المالية اللازمة لنشاط الامم المتحدة في هذا المجال.

الا أن شعوب العالم وحركاتها التقدمية تتساءل، على ضوء الممارسة خلال السنوات الأخيرة، عن معنى الازدواجية والانتقائية في المعايير الدولية بخصوص انتهاكات حقوق الانسان والتجاوز على قواعد القانون الدولي وميثاق الأمم المتحدة. فلماذا لا يتم حماية أهلنا في الأرض الفلسطينية المحتلة وفقا للاتفاقية جنيف الرابعة؟ ولماذا لم تتخذ الولايات المتحدة الأمريكية الاجراءات نفسها التي اتخذتها ضد العراق، أو لم تحاول تطبيق قرارات مجلس الأمن بشأن الارهاب الاسرائيلي والاخوة المبعدين ومصادرة حق الشعب العربي الفلسطيني وبخاصة حقه في تقرير المصير؟.

قضايا دولية

قضايا دولية

وما يهمنا هو ما يجري تدبيره، بعيدا عن معرفة الرأي العام العالمي، حتى يكون ما يسمى بـ "النظام الدولي الجديد" أداة من أدوات الغرب على حساب بقية شعوب العالم. فقد عقدت اللجنة التحضيرية خلال عامي ١٩٩١ـ١٩٩٢ أربع دورات في جنيف وكان آخرها الدورة الرابعة التي بدأت أعمالها في ١٩ نيسان/ ابريل حتى ٧ أيار/ مايو وضعت خلالها مسودة مشروع الوثيقة الختامية للمؤتمر. وقد أثيرت خلال الاجتماعات مواضيع جديدة ستدرج للمرة الاولى على جدول اعمال المؤتمر في مقدمتها انشاء آلية مراقبة جديدة لمعايير حقوق الانسان وربط التنمية الاقتصادية بالديمقراطية وحقوق الانسان. كما عرض اقتراح من الولايات المتحدة لاستحداث مفوض سام لحقوق الانسان في العالم، غير أن دول العالم الثالث في مجموعاتها الثلاث عارضت الفكرة واعتبرت فكرة المفوض السامي لحقوق الانسان خروجا عن جدول الاعمال وتدخلا صارخا في سيادة الدول.

ومما يجدر ذكره أن الموقف الامريكي ـ الاوروبي من حق التنمية يتسم بعدم الوضوح، ويستند الى الوثيقة التي أعدها مركز حقوق الانسان التابع للأمم المتحدة، وقد جاء في البند السادس من الوثيقة ما يلي: "ان الحق في التنمية هو من حقوق الانسان غير القابلة للتصرف ويجب باستمرار رصد التمتع به على المستوى الدولي والوطني وأن احراز تقدم دائم في سبيل تنفيذه يتطلب وجود سياسات انمائية فعالة على المستوى الوطني وعلاقات اقتصادية عادلة على المستوى الدولي مع ايلاء الاعتبار الواجب لحق الشعوب في السيطرة على ثرواتها ومواردها الطبيعية".

وعلى الرغم من اعتراف هذه الوثيقة بأن الحق في التنمية هو من حقوق الانسان غير القابلة للتصرف الا ان التركيز في الوثيقة ينصرف في المقام الاول الى رصد التمتع بهذا الحق دون وضع وسائل الردع اللازمة لحمايته.

كما جاء أيضا في البند الثاني من هذه الوثيقة التي تحظى بتأييد الغرب ما يلي:

"يجب اعطاء الاولوية داخل المنظمة لتعزيز وحماية جميع حقوق الانسان والحريات الاساسية وفقا لمقاصد الامم المتحدة وينبغي لمنظومة الامم المتحدة".

وهذا البند من أكثر البنود المثيرة للجدل والذي تنظر اليه الدول النامية بعين الشك، فهذا البند يعني ان الوكالات المتخصصة والانمائية مثل صندوق النقد الدولي والبنك الدولي وبرنامج الامم المتحدة الانمائي وبقية المنظمات الدولية لن تقدم مساعداتها المالية والفنية الا بعد تقييم حالة حقوق الانسان، وهذه وسيلة ردع سوف تتحكم بها الدول الغربية في عمل الوكالات المتخصصة والمنظمات الدولية لتحديد مصائر الدول النامية.

لقد سبقت المؤتمر العالمي لحقوق الانسان عدة مؤتمرات اقليمية حكومية وغير حكومية، وقد صدرت عن هذه المؤتمرات وثائقا وبيانات حول قضايا حقوق الانسان والمعايير والمبادىء والأولويات ووسائل التنفيذ كما تراها هذه المجموعات الدولية. لقد كشف المؤتمر التحضيري الرابع في جنيف، المشار اليه أعلاه، عن خلافات بين كافة التجمعات الاقليمية وبين الموقف الامريكي والاوروبي. ويعود سبب هذه الخلافات ليس الى القضايا الاجرائية، ولكن يتعلق بنظرة الدول النامية الى قضايا الربط بين التنمية والديمقراطية وحقوق الانسان، مما يختلف عن المعايير والاولويات التي تروج لها الدول المتقدمة ترسيخا لما يسمى "النظام الدولي الجديد".

فقد ورد في البيان الختامي لدول امريكا اللاتينية ومنطقة البحر الكاريبي، الذي عقد في شهر كانون الثاني/ يناير ١٩٩٣ في البند السابع ما يلي:

"ان الحق في التنمية هو من حقوق الانسان غير القابلة للتصرف وعلى المجتمع الدولي ان يتخذ تدابير في أقرب وقت ممكن من اجل اعمال هذه الحق من خلال آليات مناسبة تراعي الحق في التنمية في بيئة صحية ومتوازنة ايكولوجيا بوصفه حقا من الحقوق التي ينبغي ان يتمتع بها الجميع وفقا لاعلان ريودي جانيرو".

وجاء في البند ١٩ ما يلي: "نؤكد أن الفقر يعتبر من العقبات الكبرى التي تعرقل التمتع الكامل بحقوق الانسان". وأكد بيان المؤتمر الاقليمي الآسيوي، الذي عقد ببانكوك في أوائل شهر نيسان/ ابريل الماضي، في البند ١١ـ١٧ على الحق في التنمية، ومما جاء فيه:

"نعيد تأكيد الحق في التنمية باعتباره حقا عالميا غير قابل للتصرف وجزءا لا يتجزأ من حقوق الانسان الاساسية التي يجب اعمالها من خلال التعاون الدولي واحترام حقوق الانسان الاساسية وانشاء آلية للرصد وتهيئة الظروف الدولية الاساسية لاعمال هذا الحق".

واذا انتقلنا الى بيان المجموعة الافريقية، التي عقدت مؤتمرها بتونس في اوائل تشرين الثاني/ نوفمبر الماضي، نجد في البند السادس ما يلي:

"ان مبدأ عدم قابلية حقوق الانسان للتجزئة مبدأ مقدس ولا يمكن فصل الحقوق المدنية والسياسية عن الحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية ولا أسبقية لأي

قضايا دولية
قضايا دولية

من هذه الحقوق على الحقوق الاخرى". وجاء في البند السابع من بيان تونس ما يلي:

"ان الحرية السياسية اذا لم يرافقها احترام للحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية تغدو قليلة المناعة وان الحق في التنمية حق غير قابل للتصرف وحقوق الانسان والتنمية والسلام الدولي مسائل مترابطة".

ومما يجدر ذكره أن المنظمات العربية غير الحكومية عقدت اجتماعا قبيل انعقاد المؤتمر الافريقي، وجاء في البيان الصادر عن الاجتماع:

"أكد المشاركون على الأهمية الخاصة لانعقاد المؤتمر العالمي لحقوق الانسان نظرا لما يتيحه من فرصة اعادة تقييم مجمل مواثيق وآليات حقوق الانسان ونشاطات أجهزة الأمم المتحدة والعقبات التي تحول دون التمتع الكامل بكل حقوق الانسان وما يمكن أن يفضي اليه ذلك من امكانية صياغة نظام انساني عالمي جديد أكثر عدالة وفاعلية".

أما المنظمات العربية غير الحكومية فقد عقدت مؤتمرا تحضيريا في القاهرة، في الفترة من ١٠-١٢ نيسان/ ابريل ١٩٩٣، ومما جاء في البلاغ الصحافي الصادر عنه: "وقد أكد المؤتمر على ترابط حقوق الانسان، وعدم امكانية تجزئة الحقوق المدنية والسياسية والحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، وكذا الترابط العضوي بين التنمية والديمقراطية وحقوق الانسان. كما لاحظ المؤتمر بقلق "طابع الازدواجية والانتقائية التي يعالج بها المجتمع الدولي قضايا المنطقة ونزاعاتها، وبخاصة معالجته للقضية الفلسطينية، وتغاضيه عن عدم انصياع اسرائيل المستمر لقرارات الامم المتحدة بشأن القضية الفلسطينية وانتهاكها المستمر لاتفاقية جنيف الرابعة بشأن حماية المدنيين تحت الاحتلال، ودعا المجتمع الدولي للعمل بكل الوسائل على وضع حد فوري لاجراءات القمع اللاانساني التي تقوم بها اسرائيل في الاراضي الفلسطينية المحتلة ووقف أعمال القتل والافراج عن المعتقلين والعودة الفورية للمبعدين والاعمال الكامل لكافة حقوق الشعب الفلسطينية غير القابلة للتصرف، وأكد على حق تقرير المصير للشعب الفلسطيني، واقامة دولته المستقلة".

وكانت منظمة العفو الدولية "الامنستي" قد اصدرت وثيقة، في شهر كانون الأول/ ديسمبر الماضي، قدمت فيها مجموعة مقترحات لتحسين حماية حقوق الانسان عن طريق الأمم المتحدة، ومما اقترحته ضرورة تعيين مفوض خاص لشؤون حقوق الانسان في الأمم المتحدة يتمتع بقدر كاف من السلطة والمسؤولية، اضافة الى تمتعه بالاستقلالية والحيادية. وقدمت في ختام وثيقتها ثمانية عشر توصية للمؤتمر العالمي لحقوق الانسان بهدف تطوير آليات عمل الأمم المتحدة بشأن توفير الضمانات لحقوق الانسان.

ومما يجدر ذكره، أن المنظمات العالمية غير الحكومية عقدت منتدى خاصا من ١٠-١٢ حزيران/ يونيو الجاري في جنيف، تدارست فيه اهتماماتها المشتركة والمتصلة ببرنامج الامم المتحدة في مجال حقوق الانسان من جهة وبالمؤتمر العالمي من جهة أخرى. وخلال أيام المؤتمر العالمي سوف تنظم المنظمات غير الحكومية فعاليات مختلفة (موائد مستديرة واشرطة فيديو حول قضايا حقوق الانسان وعرض مسرحيات وتنظيم ورشات عمل). وقد ألقت الاخت عصام عبد الهادي رئيسة الاتحاد العام للمرأة الفلسطينية كلمة أمام مؤتمر المنظمات غير الحكومية شرحت بها معاناة الشعب الفلسطيني في الاراضي المحتلة، مناشدة الوفود غير الحكومية من جميع أنحاء العالم الضغط على حكوماتها من اجل انهاء الاحتلال الاسرائيلي للاراضي الفلسطينية واحترام حقوق الانسان الفلسطيني في حقه بتقرير مصيره والعيش بامان كباقي شعوب العالم مطالبة الحماية الدولية للشعب الفلسطيني الذي يتعرض للقمع اليومي والخنق الاقتصادي، الذي تمارسه السلطات الاسرائيلية ضد الشعب الفلسطيني وتطبيق اتفاقية جنيف الرابعة لعام ١٩٤٩ على الشعب الفلسطيني، ومطالبة الافراج عن آلاف المعتقلين وفك الحصار والطوق النفسي المفروض على شعبنا منذ اذار/ مارس من هذا العام.

وخلال الكلمة حاول ممثلو المؤتمر اليهودي العالمي لدى المنظمات غير الحكومية منعها من الاستمرار في القاء كلمتها الامر الذي حول القاعة التي تضم اكثر من الفي ممثل الى مظاهرة تضامنية مع منظمة التحرير والشعب الفلسطيني.

واستطاعت الاخت/ عصام عبد الهادي استكمال كلمتها وبتأييد عارم من المؤتمرين والوفود الاجنبية. وبهذا تم تحقيق وايصال الصوت الفلسطيني العادل الى جميع أنحاء العالم من خلال هذا الموقف التضامني وامام جميع وسائل الاعلام العالمية، وبرهنت في نفس الوقت ان الشعب الفلسطيني وقضيته العادلة مازالت تتمتع بزخم التأييد والتضامن الذي شهدته طوال مسيرتها النضالية الوطنية ■

كتاب

البناء من أجل السلام

استراتيجية امريكية للشرق الاوسط

(٢)

نعيد في هذه المرحلة تركيز الضوء على تقرير المجموعة الدراسية الرئاسية لمعهد واشنطن المعنون بالبناء من أجل السلام، والذي صدر في خريف عام ١٩٨٨. لقد قمت في حينه بترجمة الكتاب وتوزيعه بشكل واسع في الاطار السياسي والتنظيمي لحركتنا ولمنظمة التحرير. ويعود اهتمامنا بهذا التقرير لأن حقيقة الافكار التي يحتويها بين دفتيه تشكل الاساس الفكري والمنهجي والايديولوجي الذي تعتمد عليه السياسة الخارجية الأمريكية. فبوصول واضع مسودة التقرير ومنسق المجموعة الدراسية الرئاسية، والمدير التنفيذي السابق لمعهد واشنطن السيد مارتن انديك، الى موقع المستشار الخاص للرئيس كلينتون لشؤون الشرق الاوسط ومدير شؤون الشرق الادنى وجنوب آسيا في مجلس الامن القومي الذي يشغله مارتن أنديك، يعطي أهمية للافكار والايديولوجية التي تحكم تصرفات وسلوك ومنهجية عمل الادارة الجديدة.

■ وفي الوقت الحاضر يبقى الفلسطينيون في الضفة والقطاع مشدودين الى منظمة التحرير الفلسطينية وهم ينتظرون قيامها بترجمة تطلعاتهم الى برنامج سياسي متماسك، غير أنه يمكن تلمس عدم استعدادهم للانتظار الى أمد غير متماسك، غير أنه يمكن تلمس عدم استعدادهم على الانتظار الى أمد غير مسمى. وقد باشروا بتسلم المسؤولية عن ادارة شؤونهم. وليس من المنافي للعقل ان يظهروا بنهاية المطاف اهتماما اكبر بتحسين الاوضاع الذين يعيشون فيها، من التمسك بحلم العودة الى حيفا وعكا. ويجب الا نتوقع في أية مرحلة من مراحل هذه العملية قيام القيادة المحلية بالابتعاد عن قيادة منظمة التحرير الفلسطينية الخارجية أو الوصول الى حدالقطيعة معها. بل على العكس فان القيادة المحلية ستسعى من أجل ضمان الغطاء الذي تحصل عليه نتيجة الاصرار على كون المنظمة الممثل الشرعي الوحيد للشعب الفلسطيني. لكنه مثلما أنها لم تنتظر الاوامر من منظمة التحرير الفلسطينية للبدء بالانتفاضة. كذلك من الممكن ان يقوم الفلسطينيون المحليون بتسلم زمام المبادرة السياسية، عبر فترة من الزمن. وبعد الكثير من خيبات الامل نتيجة تذبذب

منظمة التحرير "الفلسطينية" وترددها.

ويمكن للادارة الجديدة ان تحفز عملية المساومة السياسية بين اسرائيل والفلسطينيين في المناطق عن طريق تشجيع عملية تستند الى هذه الحركة الدينامية الجديدة، والتي تنطوي على امكانية فرز ذلك المحاور الفلسطيني الذي يبحث عنه الكثير من الاسرائيليين والولايات المتحدة منذ زمن بعيد.

ان الخطوة الاولى في هذا المسار هي توضيح عدم استعداد الولايات المتحدة للقبول بمناورات تفتقر الى التقبل الصريح باسرائيل. وهذا سيدعم التفهم الناشىء لدى الفلسطينيين في المناطق حول طبيعة المبادرة السياسية المطلوبة. وعلى صعيد آخر، يجب على الديبلوماسية الامريكية العلنية ان تؤكد على التزامنا بمعالجة الحقوق الفلسطينية السياسية ضمن اطار الامن الاردني والاسرائيلي، وفي الوقت نفسه يجب على الولايات المتحدة ان تؤكد لفلسطينيي المناطق على المسؤولية التي يتحملونها بالنسبة لمصيرهم. فهم الوحيدون القادرون على معالجة مخاوف اسرائيل واهتماماتها الامنية. وبما أنهم الطرف الذي يتحمل العبء الاكبر لاستمرار الاحتلال، يجب ان نؤكد للفلسطينيين على الكلفة التي يتحملونها نتيجة الوضع الراهن القائم، وأن نحثهم على ضرورة البدء بعملية واقعية تحمل في طياتها أمل الوصول الى تسوية سياسية. ويجب تشجيع الفلسطينيين على السعي نحو التحاور مع اسرائيل واتخاذ الخطوات التي تحافظ على اهتماماتها الأمنية.

لكن على الولايات المتحدة ايضا ان توضح لاسرائيل تقييمها للاسباب التي تجعل من الوضع القائم وضعا خطيرا ومكلفا بالنسبة لاسرائيل. ويجب تشجيعها على النظر الى ما هو أبعد من مشكلة الحفاظ على الامن المباشرة التي تواجهها، باتجاه المستقبل والاجراءات التي يمكن ان تتخذها لاستغلال الدينامية الجديدة بداخل الصف الفلسطيني. باختصار، يمكن للديبلوماسية الامريكية باستخدام مزيج من المشاورات غير العلنية والتصريحات العلنية ان تشجع الجانبين الفلسطيني والاسرائيلي على البدء بالنظر الى الخطوات التي يمكن لهما اتخاذها، للابتعاد عن الوضع الصدامي الراهن ونحو حوار سياسي بناء أكثر.

ماهو شكل هذا الحوار السياسي المقترح؟ قد تكون الخطوة الاولى، خطوة صغيرة، تشتمل مثلا على عرض من الجانب الفلسطيني على التخفيف من القيود التي وضعتها اسرائيل على المناطق كرد على الانتفاضة. ومن الاجراءات التي قد تتخذها اسرائيل رفع منع التجول، واعادة فتح المدارس والجامعات، واطلاق سراح السجناء ووقف اجراءات الابعاد. ويمكن للقيادة الفلسطينية ان تدعو الى وقف الاضرابات، وفتح المتاجر، ووقف المظاهر العنيفة، والاصرار الا تستعمل المدارس كقواعد للعمل السياسي المشاغب.

وحسب نجاح مثل هذه العملية، يمكن لكل من الفلسطينيين والاسرائيليين اتخاذ الخطوات الاكثر أهمية الهادفة الى دعم الثقة ما بينهما. ويمكن للممثلين الشرعيين عن الجانب الفلسطيني ان يبدأوا بمخاطبة الاسرائيليين على الصعيد السياسي، معبرين عن استعدادهم للتفاوض بشأن السلام، وعارضين رؤيتهم لمستقبل يكون اكثر تكيفا مع التطلعات الفلسطينية ومع المخاوف الاسرائيلية الامنية ومن جهتها يمكن لاسرائيل النظر الى اتخاذ الاجراءات الابعد أثرا بكثير بنهاية المطاف، مثل التخفيف من القيود الاقتصادية التي تميز ضد الفلسطينيين، والتخفيف من الضوابط والقيود على التنمية الصناعية في المناطق، والاستعداد الأكبر على تقبل النشاطات السياسية الفلسطينية العلنية، بما في ذلك حرية التجمع وتشكيل الهيئات أو المؤسسات.

من الواضح أن هنالك حدود صارمة لما يمكن تحقيقه من خلال الخطوات غير الرسمية. وبالنهاية، ستتطلب مسألة تنفيذ الترتيبات الانتقالية الأهم، عملية تفاوضية رسمية، تمنح اسرائيل والفلسطينيين الضمانات والاجراءات الوقائية التي يحتاجون اليها. حظيت الضمانات والاجراءات الوقائية التي يحتاجون اليها بالنجاح. أيضا، يمكن أن يساعد ذلك على وضع الأسس اللازمة لمثل هذه المفاوضات. ويمكن اقناع اسرائيل بافساح المجال أمام انتخابات حرة في المناطق، يكون هدفها المحدد فرز قيادة فلسطينية ممثلة مستعدة على الجلوس مع اسرائيل والتفاوض بشأن الانتقال التدريجي للسلطة بشأن القضايا المحلية، من الادارة المدنية الاسرائيلية الى المجالس الفلسطينية المنتخبة (بما في

ذلك شؤون المالية والزراعة، والعدل والصحة، والتربية، والاسكان، والمواصلات، والصناعة والتجارة والشؤون الدينية).

والخلاصة أن الخطوة الاولى في الاستراتيجية الامريكية التي نقترحها هي دعم عملية تحول الحوار البناء محل دورة العنف بين الفلسطينيين والاسرائيليين. ولان العقبات السياسية أمام عملية السلام الرسمية لا يمكن تجاوزها "بالاقتحام المباشر" في الظروف الراهنة، نقترح بدلا من ذلك الالتفاف حول مثل هذه العقبات باتخاذ الخطوات الملموسة على الارض التي من شانها أن تعدل من رؤية كل من الطرفين لاهداف الطرف الآخر. ولن يكون من المطلوب على اسرائيل أو الفلسطينيين التخلي عن مطالبهم النهائية بشان الضفة الغربية وغزة. ولكن يمكن تفحص استعداد كل منهما على التعايش مع الآخر بشكل جدي. ومن خلال هذه العملية يمكن غرس شعور أكبر بالحركة والدينامية في وضع فشل حاليا يثير مشاعر الاحباط واليأس.

المطلوب هو الواقعية وليس التفاؤل من أجل تقييم فرص هذه العملية بالنجاح: فمن المحتمل أنه بالرغم من كافة التطورات قيد الظهور داخل المجتمع الفلسطيني، ستسيطر الراديكالية والشعارات المتطرفة والأصولية الاسلامية. وقد يرفض الفلسطينيون عرض الخطوات التوفيقية على اسرائيل، أو أنهم قد يخافوا ذلك. وفي مثل هذا الحال لن يكون بالامكان احراز تقدما يذكر. ومثلما انه على اسرائيل ان تتقبل حقيقة الاحتلال المكلف، وحقيقة انه لا حل عسكري مقبول للانتفاضة، كذلك على الفلسطينيين أن يتقبلوا حقيقة أن الحوار السياسي المؤدي الى المفاوضات - وليس العنف واعمال الشغب - هو السبيل الوحيد لانهاء الاحتلال العسكري.

على الادارة القادمة ان تأخذ بعين الاعتبار بان قرار الدخول في مثل هذه العملية من طرف اسرائيل يجب أن تأخذه اسرائيل بنفسها. ان اسرائيل وحدها قادرة على اتخاذ القرار الصعب بتشجيع قيادة فلسطينية محلية والدخول في عملية سياسية ليس من الواضح ماذا سيكون مصيرها. لكن مقاربة متعاقبة المراحل قد توفر بعض الضمانات العامة. فبالقدر الذي يكون فيه الفلسطينيون مستعدون على التعاون مع كل خطوة تتخذها اسرائيل، يمكن الانتقال بالعملية الى مرحلة لاحقة، وأكثر أهمية. وبالقدر الذي يتم فيه رفض المبادرات الاسرائيلية المساومة، ويستمر فيه العنف يمكن لاسرائيل وقف هذه العملية. والتراجع عن الخطوات التي وضعت حيز التنفيذ. واذا شرعت اسرائيل بمثل هذه العملية بالفعل، سيكون على الادارة القادمة ان تتبنى موقفا متجاوبا مع هذه المقاربة التي قد تتطلب الحركة بعض الأحيان والجمود أحيانا أخرى.

الخلاصة:

من المستبعد ان تحدث أية تطورات من هذا النوع خلال الفترة القريبة القادمة. وكما لاحظنا سابقا، من بين الأطراف الثلاثة الرئيسية المعنية بالمشكلة الفلسطينية، اسرائيل منقسمة على نفسها، والملك يقف خارج الحلبة والفلسطينيون يفتقرون الى القيادة القادرة و/ أو المستعدة على المشاركة في المفاوضات. هكذا فان استراتيجية تهدف الى التغلب على هذه العقبات وان تقيم أسس ثابتة للمفاوضات ستحتاج ليس الى المثابرة والعزم فحسب، بل الى الصبر. وستتطلب من صانعي القرار الامريكيين النظر الى مهمة صنع السلام في الشرق الأوسط بمنظور جديد: ليس كمجرد سلسلة من المفاوضات الرفيعة المستوى، وانما كمجموعة من الخطوات السابقة للمفاوضات التي تهدف الى ازالة العوائق أمام العملية الديبلوماسية الأكثر رسمية.

تسعى الخطوات التي اقترحناها من اجل تشجيع عملية تتوجه نحو معالجة بعض المخاوف الاسرائيلية والفلسطينية الآنية دون ان تتطرح بالضرورة خطة للتسوية السياسية النهائية. ونتيجة تعقيد الصراع واحتدامه، فان المشاريع الطموحة التي تحاول حل القضية الفلسطينية بعملية "انقضاضية" واحدة ستواجه على الارجح بالفشل، بل ان نتائجها قد تكون عكسية. ولا يمكن سوى لعملية مستمرة تنضم اليها الأطراف المعنية بارادتها الذاتية وتنطوي على أفضليات واضحة في الأمد القصير وتبشر بالخير في الأمد البعيد دون أن تحمل في طياتها مخاطر مباشرة، لا يمكن سوى لعملية كهذه ان تتمتع بفرصة للنجاح. ولا يمكن سوى لعملية تقوم بتهيئة الأجواء والبيئة المناسبة عبر تعزيز الثقة المتبادلة أن تخلق الظروف المؤاتية لنبدء بالمفاوضات الرسمية بنهاية المطاف ■

تتمة رأينا

كان.. لهذا.. فان القدس اولاً يعني السلام اولا.. والذين يطالبون بتاجيل بحث موضوع القدس، يطالبون عمليا بتاجيل موضوع السلام، والذين يوافقون على تاجيل موضوع القدس، يوافقون على الدخول في حرب تطول وتطول، ما دام جدول اعمال البحث، لا يتصدره موضوع القدس.. لقد جرب المفاوضون في الجولات التسعة السابقة، وها هم يدخلون اليوم جولتهم العاشرة. لقد جربوا اللف والدوران حول هيكل السلام المقدس.. لامسوا جدرانه من الخارج.. طرقوابابه برؤوس اناملهم.. ولكنهم لم يدخلوه، ولن يدخلوه الا بالقدس .. فالقدس اولا.. والقدس هي مفتاح السلام.

اما الحديث عن غزة اولا، وهو ما تسربه اوساط الصهاينة بهدف التفريق بين ابناء شعبنا، فنحن نقول لهم وبالصوت الفتحاوي، اننا ملتزمون بقرارات مجلسنا الوطني الفلسطيني، التي أكدت استعدادنا لاقامة دولة فلسطينية مستقلة على اي جزء، يتم تحريره او انسحاب العدو الصهيوني عنه، كخطوة مرحلية نحو تحرير فلسطين. وعليه فان انسحاب العدو الصهيوني من غزة، يفتح امام منظمة التحرير الفلسطينية بابا من حقها.. بل ومن واجبها ان تقبله شريطة، ان يكون الاستقلال الوطني هو الهدف، وعدم الالتزام بالتنازل عن اي جزء من الاراضي المحتلة مقابل ذلك..

ان صفقة تحت شعار الحكم الذاتي في غزة اولا، هي صفقة مشبوهة تهدف الى تجزئة القضية على اساس غير وطني، يفتقر الى مرحلية استمرار النضال، وهو ما يرفضه شعبنا وترفضه حركتنا وترفضه منظمتنا، منظمة التحرير الفلسطينية. لقد اثار المعارضون لقرار المجلس الوطني في دورته الثانية عشر، حول اقامة السلطة الوطنية المستقلة على اي جزء يتم تحريره، شكوكا حول امكانية تحقيق تلك المرحلية المطروحة.. ولكنهم كانوا يعلنون موافقتهم على ما كانوا يسمونه "دولة مستقلة في اريحا"، اذا كانت تشكل مرحلة تحمل ميكانيكية استمرار النضال من اجل هدف التحرير الكامل للتراب الفلسطيني.

اما اليوم.. ففي سياق ما يجري تحت شعار مسيرة التسوية، وفي اطار المشاركة الامريكية الكاملة للكيان الصهيوني، نتيجة الاندماج العضوي بين قيادات اللوبي الصهيوني والادارة الامريكية، فان الحذر واليقظة والحكمة، تقتضي ان يكون طرحنا على طاولة المفاوضات، وامام شعبنا الفلسطيني.. وامام امتنا العربية والاسلامية ان القدس هي.. اولا.. وان الجولة العاشرة هي الاخيرة في هذه الجولات، اذا فشلت حقيقة بالامساك بالقدس كمفتاح لاستمرار عملية السلام.

وفي كل الحالات علينا الوقوف، منذ الآن وحتى انتهاء الجولة العاشرة، امام معطيات الجولات جميعها، والتحضير للحوار الوطني الفلسطيني الشامل، الذي عليه واجب تقويم المرحلة السابقة بكاملها.. وتحديد ما لها وما عليها والاشارة والاشادة بالايجابيات وتحديدها.. وادانة السلبيات وبترها من جذورها، واستخلاص الدروس والعبر من تجربة عشرين شهرا كاملة، في مقارعة العدو الصهيوني على ساحة المفاوضات الشرسة، وتحديد الخيارات والبدائل، التي يمكن اتباعها متداخلة او متباينة او متكاملة، مع التركيز وفي كل الحالات على خيار الكفاح المسلح واستمراره، باعتباره استراتيجية وليس تكتيكا، وانه لا بد من استمراره، حتى تحقيق هدفنا في الحرية والاستقلال الوطني، واقامة الدولة الفلسطينية المستقلة، وعاصمتها القدس الشريف.

لقد استمر كفاحنا المسلح ببطولة وشجاعة، جنبا الى جنب مع الانتفاضة الجبارة في موجاتها المتعاقبة، والتي تشكل خيارنا المستمر، مع الكفاح المسلح لتحقيق اهدافنا.

وكانت البطولات التي جسدها المطاردون من ابطال العاصفة. صقور الفتح والفهود السود، واخوانهم من المقاتلين من فصائل الثورة او حماس، هي احد الاسباب التي جعلت المفاوض الفلسطيني، يشعر بثقته وهو يواجه المفاوض الاسرائيلي. فالمفاوض الذي يدعمه المقاتل والمنتفض، يكون مسلحا بارادة شعبه وثورته في المواجهة مع خصومه. وهو يدرك انه سيعود الى هذا الشعب الذي يضحي كل يوم بالدم والروح، ليجني الحرية والاستقلال. وهنا لا بد ان نشير الى بعض الظواهر، التي كادت ان تطغى في بعض الاوقات بعيدا عن منطق السياسة الحريص، او الفهم المنطقي للاحداث.

لقد لاحظنا مع بداية مدريد اندفاعة رعناء نحو العلنية، من بعض من ظنوا ان الحصاد، صار قاب قوسين او ادنى، فركبوا موجة المهادنة للعدو.. الامر الذي ذكرنا في حينه بتجربة فصائل السلام المشؤومة، التي قضت على ثورة شعبنا عام ١٩٣٩. وقد قدرنا في حينه ان تنظيم حركتنا داخل الارض المحتلة، لا يشكل فقط الضمانة لاستمرار الانتفاضة، ولاستمرار الثورة داخل الارض المحتلة فحسب، وانما هو الضمانة لاستمرار وصمود وبقاء ثورتنا وحركتنا ومنظمتنا، داخل الارض المحتلة وخارجها على حد سواء.

فابطال تنظيمنا في مواقعهم غير المعروفة ومهماتهم البعيدة عن الاضواء، واسماءهم البعيدة عن ادراج المخابرات، ونكرانهم للذات، هي التي تعيق العدو الصهيوني من تحقيق هدفه في تصفية حركتنا ومنظمتنا وثورتنا.. لقد افشلت قبضة تنظيم حركتنا داخل الارض المحتلة، وحكمة القيادة في التعامل مع الشروط المجحفة والممر الاجباري منذ مدريد، مخطط الصهاينة الهادف الى خلق قيادة بديلة، يتم عبرها تصفية منظمة التحرير الفلسطينية، باعتبارها رمز الاستقلال الوطني.. ولقد عبر

روبرت ساتلوف في نشرة البوليسي ووتش (POLICYWATCH) رقم ٥٤ بتاريخ ٩٣/٦/٨ عن هذا المخطط بقوله:

(كان الضعف المؤسساتي لـ م.ت.ف. احد الشروط المسبقة، التي مكنت من انعقاد مؤتمر مدريد. وكنتيجة طبيعية لذلك، كان الامل في ذلك الوقت ان تشكيل وفد فلسطيني مفاوض من داخل المناطق، والهالة التي سترافق دوره كمفاوض متكافىء مع اسرائيل، سيدفع الى تطوير قيادة محلية، وان كانت وطنية، في الضفة الغربية وقطاع غزة. واليوم فان هذا الشرط المسبق غير قابل للتطبيق، وان الامل في خلق قيادة بديلة قد بدا مظلما).

ان استمرار النضال يعني استمرار مواجهة مخططات العدو من جهة، واستمرار ابتكار وابداع مخططات الثورة، لتغيير الواقع الفاسد المتمثل بالاحتلال من جهة اخرى. وفي معرض هذه المواجهة على ارضية الكفاح والجهاد داخل الارض الفلسطينية، فان مجال تطويرها مرهون بالمؤسسات الحركية صاحبة العلاقة. اما في اطار الابداع في مواجهة المخططات المعادية، ووضع المخططات البديلة في مجالات العمل السياسي والدبلوماسي والتفاوض، ومن اجل تصحيح المسار في عملية التسوية، نجد انه لزاما علينا التأكيد على الحقائق التالية:

الحقيقة الاولى:

لا يختلف اثنان على ان الموقف الامريكي ليس نزيها، وانما هو منحاز بكامله لصالح الكيان الصهيوني اكثر من اي وقت مضى، ويعود ذلك للسيطرة شبه المطلقة لصهاينة الايباك (AIBAC) على الادارة الامريكية. وحيث ان الراعي الثاني لعملية السلام، وهو روسيا الاتحادية، ليس في موقع يؤهله لمواجهة الادارة الامريكية، للايفاء بتعهداتها، التي قطعتها للوفد الفلسطيني، قبل واثناء وبعد مؤتمر مدريد. وان هذه الحقيقة تتطلب الدفع باتجاه المطالبة بشمولية عملية السلام على المستوى الدولي، بحيث تتم مشاركة الدول الخمس الدائمة العضوية في مجلس الامن، اضافة الى المانيا واليابان، وفي ظل مؤتمر دولي تحت اشراف الامم المتحدة. وان دعم الدول الكبرى لقضيتنا، سيفتح مجالا للانفراج السياسي في عملية السلام.

الحقيقة الثانية:

لقد كانت ظروف منظمة التحرير الفلسطينية الصعبة في مرحلة انعقاد مؤتمر مدريد، هي التي فرضت عليها المشاركة والعبور في ممر اجباري ووفق شروط مجحفة. وحيث ان هذه الشروط وهذا الممر، قد اوصلت المسيرة بعد اكثر من عشرين شهرا من حوار الطرشان الى طريق مسدود، فان علينا المطالبة بفتح ملف جديد، بعيدا عن الغموض المدمر، والصياغات ذات الوجوه المتعددة، وتحديد الاولويات والمرجعية بشكل يجعل من المؤتمر الدولي حكما، وليس مجرد شاهد زور على غطرسة القوي المسلح بالباطل، على حساب الشعب المحتل الصابر صاحب الحق، الباحث عن العدالة والمتمسك بحقه، وبالنضال والتضحية لتحقيقه.

الحقيقة الثالثة:

ان المصالح المشتركة التي تربط بين منطقتنا وامتنا العربية، وبين اوروبا واليابان، تفرض علينا التوجه بشكل مبرمج لتعزيز وتطوير العلاقة المستقبلية، التي تقوم على المصالح المشتركة لاوروبا واليابان مع امتنا العربية. ان هذا التوجه من شانه تقليل اهمية الدور الامريكي، واضعاف هيمنته، مما يضعف بالضرورة غطرسة حليفه الاستراتيجي، الكيان الصهيوني.

الحقيقة الرابعة:

كان للموقف العربي الموحد اكبر الاثر في منع الاستفراد الصهيوني الامريكي، باي طرف من الاطراف المشاركة في عملية التفاوض، لاقتناص حل منفرد على غرار كامب ديفيد. وان تعزيز هذا الموقف وتطويره واتساعه، بحيث يشمل جميع الدول العربية، بعيدا عن نتائج حرب الخليج، التي خططت الولايات المتحدة والكيان الصهيوني لاغراق الامة العربية عبرها في عصر من الخلافات، لصالح هيمنة "اسرائيل" على المنطقة، وتحقيقا لهدف "اسرائيل الكبرى" عبر الهيمنة الاقتصادية. وهو ما عبر عنه تصريح الرئيس كلينتون امام رابين في واشنطن، بانشاء لجنة عليا للعلم والتكنولوجيا، من شانها تطوير الصناعة الاسرائيلية، لتحويل العالم العربي سوقا لبضائع الكيان الصهيوني. الامر الذي جعل رابين يربط بين هذا المشروع، وبين الغاء المقاطعة العربية "لاسرائيل".

الحقيقة الخامسة:

على الرغم من الخلافات الحادة بين الرفض والقبول لمؤتمر مدريد بشروطه ومسيرته، فقد سادت الديمقراطية الفلسطينية روح الحوار المتباعد، مع التمسك بشعار وحدة الصف للدفاع ووحدة الهدف للهجوم. ولهذا فان الوحدة الوطنية الآن، بحاجة الى تعزيز، عبر المشاركة في الحوار الوطني الشامل، للتقويم المتكامل للجولات العشر، ولاستخلاص دروس المستقبل.

الحقيقة السادسة:

ان المهمة الثورية الملقاة على عاتق حركتنا، تقتضي منا كفتحويين، ان نبدأ قبل اي طرف آخر، بالتقويم الشامل لمسيرة ثورتنا وحركتنا، منذ خوضنا لتجربة المفاوضات والانخراط في مسيرة التسوية. وان هذا الواجب هو على سلم اولويات اجتماع اللجنة المركزية لحركتنا، الذي سيعقد خلال ايام، والذي على أساسه سيتم وضع التصور المستقبلي للعمل في كافة المجالات، واعتماد خطط الخيارات، بما يخدم مصلحة شعبنا وثورتنا وحركتنا، وبما يضمن استمرار مسيرة ثورتنا المظفرة، في طريقها نحو النصر الاكيد، وبعونه تعالى.

وانها لثورة حتى النصر



الصفحة الأخيرة

عطا الزير
فؤاد حجازي
محمد جمجوم

شهداء على طريق فلسطين

قبل ثلاثة وستون عاما كتب شهداء فلسطين الابطال بدمهم وثيقة عهد ووفاء للوطن وللشعب واستقبلوا الثلاثاء الحمراء بأباء وشمم هو اكسير السر الذي يسكن الفلسطيني والذي به حتما سيصل الى غايته في الحرية والاستقلال والدولة الفلسطينية المستقلة وعاصمتها القدس الشريف.

■ حضرة الاخ المجاهد الوطني سليم بك عبد الرحمن حفظه الله امينا لفلسطين العزيزة، نود أن نشكر جهادك ووطنيتك الصادقة منذ نشأتك الى اليوم وان نذكر بالفخر موقفك المشرف معنا في سجن عكا مدة الستة اشهر التي سجنت بها لاحياء امتك ووطنك، ورجاؤنا الى الامة العربية ان لا تنسى دماءنا المراقة وارواحنا التي سترفرف في سماء هذه البلاد المحبوبة، وان تذكر اننا قدمنا عن طيبة خاطر انفسنا وجماجمنا لتكون اساسا لبناء استقلال امتنا وحريتها، وان تبقى الامة مثابرة على اتحادها وجهادها في سبيل خلاص فلسطين من الاعداء وان تحتفظ باراضيها فلا تبيع للاخصام منها شبرا، وان لا تهن عزيمتها، وان لا يضعفها التهديد والوعيد، وان تكافح حتى تنال الظفر، ولنا في آخر ساعات حياتنا رجاء الى امراء وملوك العرب والمسلمين في سائر انحاء المعمورة ان لا يثقوا بالاجانب وسياسييهم وليعلموا ما قال الشاعر بهذا المعنى "ويروغ منك كما يروغ الثعلب".

وعلى العرب في كل البلدان العربية والمسلمين ان ينقذوا فلسطين مما هي فيه من الآلام وان يساعدوها بكل قواهم. اما رجالنا ولجنتنا التنفيذية وزعماؤنا وشبابنا فلهم منا الامتنان العظيم على ما قاموا به نحونا ونحو امتهم وبلادهم، فنرجوهم الثبات والمتابعة حتى ننال غايتنا الوطنية الكبرى. واما عائلاتنا فقد اودعناها الى الله والامة التي نعتقد انها لن تنساها ولن تنسى تعليم أخي، فؤاد نجل السيد احمد حجازي.

والآن بعد أن راينا من امتنا وبلادنا وبني قومنا هذه الروح الوطنية وهذا الحماس القومي فاننا نستقبل الموت بالسرور والفرح الكاملين، ونضع حبلة المرجوحة، مرجوحة الابطال باعناقنا عن طيبة خاطر، فداء لك يا فلسطين.

وختاما نرجوكم ان تكتبوا على قبورنا:

"الى الامة العربية، الاستقلال التام او الموت الزؤام - وباسم العرب نحيا وباسم العرب نموت".

في ١٦ خزيران ١٩٣٠، غرفة الاعدام الشهيد عطا الزير، الشهيد محمد جمجوم، شهيدك يا فلسطين فؤاد حجازي.

١٩٣٠/٦/١٦

- الاتصالات والمراسلات -

البريد الخاص - 1080 ص. ب. 18 تونس - الجمهورية التونسية - فاكسميل: 767599